بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..وبعد قد ينشغل الإنسان في الحياة بأمور دنياه عن أمور دينه , وقد تصيبه الغفلة في خضم هذا الانشغال عن الآخرة , فينسى ان هناك موتاً وأن هناك بعثاً وحشراً وحساباً وجزاءً بجنَة أو بنار , وقد يصل بالمرء أحيانا الأمر أن يخلط عمله بين الصالح والسيئ , أو قد يلتبس عليه الأمر أو قد تطغى عليه الأطماع الدنيوية فإذا لم يستيقظ العبد من غفلته فيتوب إلى ربه وينفض عن نفسه غبار الغفلة , وعن قلبه أدران الران, وعن جوارحه أنقاض المعاصي , ضل ضلالاً بعيدا والعياذ بالله وإن الإمام ابن القيم رحمه الله الذي يعتبر من المدرسة الوعظية الواعية التي تؤصل لمسائل الوعظ المدروسة التي تطرق القلوب بأنامل رقراقة تتسلل الى شرايين النفس فتجذبها برفق الى مصاف النفوس المطمئنة , وتنتشلها من براثن السوء أو الأمر به.

إن هذه التفاصيل وغيرها من أضرار الذنوب والمعاصي التي أشار إليها هذا العلم العالم من أعلام أمتنا قد غفلت عنها أقلام الكُتَّاب فآثرت أن أعيدها إلى الذاكرة لما لها من أهمية بالغة في هذا العصر وفي كل العصور .

ومع إني أضفت بعض العناوين البسيطة إلى ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله إلا ان أصل كلامه محفوظ ومصون لأن فيه أداء الغرض , والوصول إلى المراد مع جمال التأليف الأصيل الذي تشعر وأنت تقرأ أنه يخاطبك عن حرص وخوف عليك , وكأن ذنبك يؤرقه ويزعجه , وكأنه يحمل همك فيحزن لحزنك ويفرح لفرحك , ولم يبق إلا أن يسير معك فيقول لك اترك هذا فهو شر وافعل هذا فهو خير - لو استطاع!

وهذا بحق ما لمسته في كتاب هذا العالم من أعلام أسلافنا رحمهم الله , ومن جانب آخر فإن طرق هذا الموضوع له أهمية بالغة في زماننا الذي طغى على النفوس الهلع, وحب الهوى , والتجرؤ على محارم الله , فكان لا بد من كابح يكبح جماحها , لعلها تعود إلى رشدها , وإلى ما خلقت من اجله من العبادة والتقوى.

أسأل الله تعالى أن يجزي الإمام ابن القيم خير الجزاء , ونسأله سبحانه أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم , وأن يحقق لنا فيه مرادنا من مرضاته وهداية المسلمين, إنه نعم المولى ونعم النصير .

النائب د. مروان محمد عايش أبو راس

غزة – الجمعة 11ربيع أول 1433\ه

3\2\2012\م

بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة الظن بالله (سبحانه)

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..وبعد اعتمد كثير من الناس جهلاً بحقيقة الدين اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه, فضيعوا أمره ونسوا أنه شديد العقاب, وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين, فمن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو المعاند.

قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وقال بعض العلماء: من قطع عفواً منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا.

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء, فقال أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي. وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد: كيف نصنع بمجالسة أقواماً يخِوِّفونا حتى تكاد قلوبنا تنقطع؟ فقال: والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول" يجاء بالرجل يوم القيامة, فيلقى في النار, فتندلق أقتاب بطنه فيدور في النار كما يدور الحمار برحاه ,فيطوف به أهل النار, فيقولون يا فلان: ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه.

أخرج الأمام أحمد في مسنده قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك. فقلنا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل يخاف علينا؟ قال نعم, إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وفيه أيضاً أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال لجبريل: مالي لم أرَ ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال: ما ضحك منذ خلقت النار.

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صِبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ

خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ ! يَا رَبِّ، وَيُؤْتَي بَأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صِبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ! يَا رَبِّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَمَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ " .

وفي المسند أيضاً عن البراء بن عازب قال بينما نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذ بصر بجماعة فقال: "عَلامَ اجتمع هؤلاء؟ قيل: على قبر يحفرونه، قال: ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبدر بين أصحابه مسرعاً حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا وقال: أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدّوا ".

إخواني لمثل هذا فأعدوا:

أخرج الإمام أحمد عن بريده قال: "خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما فنادى ثلاث مرات: يا أيها الناس، أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا: الله ورسوله اعلم، فقال: إنما مثلي ومثلكم مثل القوم خافوا عدواً يأتيهم فبعثوا رجلاً يتراءى لهم فأبصروا العدو فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه, فأهوى بثوبه أيها الناس أتيتم – ثلاث مرات".

معنى الحديث: أن الرجل رأى العدو وأراد أن ينذر قومه وخشي أن يصل إليه العدو فيقتله فلا يستطيع أن يبلغ قومه قدوم العدو إليهم, فلوح إليهم من بعيد ليحذرهم وينذرهم حرصاً منه عليهم, وهذا مثل النبي صلى الله عليه وسلم قومه.

وفي المسند أيضا من حديث أبي ذر قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرى ملا ترون, وأسمع ما لا تسمعون, أطَّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك يسح ساجداً، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش: ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى، قال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعض " ومعنى أطَّت أي أنَّت من التعب وكثرة من عليها من الملائكة.

وفي المسند أيضا من حديث حذيفة قال: "كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على ساقيه فجعل يردد بصره فيه، ثم قال: يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله، ويملأ على الكافر ناراً " و الحمائل عروق الأنثيين.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان, ولو سمعها الإنسان لصعق".

وفي مسند أحمد من حديث أبي أمامة قال: قال رسولا الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا، تغلي منها الرؤوس كما تغلي القدور ويغرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبه، ومنهم من يبلغ إلى ساقه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق". والمعنى أن الناس من حر الشمس يغرقون في عرقهم على حسب أعمالهم، ولكن الله ينجي من يشاء من أهل الصلاح والتقوى.

إخواني أليس هذا بعظيم؟ أليس هذا بخطير؟ أليس هذا بمخيف؟ إخواني لمثل هذا فأعدوا فماذا انتم فاعلون ؟

أخواني الكرام: احذروا الاستدراج !!!

ربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا, وأنه يعتني به, ويظن أن ذلك من محبة الله له, وأنه سيعطيه في الآخرة أفضل من ذلك, فهذا من الغرور, روى الإمام أحمد بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي- صلي الله عليه وسلم- قال: "إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب, فإنما هو استدراج, ثم تلا قول الله عز وجل " فلما فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " الأنعام 45.

وقال بعض السلف: إذا رأيت الله عز وجل يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معاصيه فاحذره فإنما هو استدراج منه يستدرجك به, وقد قال تعالى:" وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ , وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ " الزخرف.

وقد رد الله سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا..... " الفجر. أي ليس كل من نعَّمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته, وليست كل من ابتليه وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته, بل أبتلي هذا بالنعم, وأكرم هذا بالابتلاء.

وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم: "إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب, ولا يعطي الأيمان إلا من يحب" وقال بعض السلف: "رب مستدرج بنعم الله عليه, وهو لا يعلم, ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم, ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم, وأعظم الخلق غروراً من اغتر بالدنيا وعاجلها, فآثرها على الآخرة, ورضي بها بديلاً عن الآخرة, فهذا والله الخاسر خسراناً عظيماً".

إخواني: احذروا الاستدراج, ومفاده كما سبق أن يكون العبد على المعصية مداوم عليها, ويعطيه الله النعم ويزيده منها قال تعالى: "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ" (المزمل).

وجاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم- "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" وهذا الإملاء هو الإطالة في الأجل, والزيادة في النعيم, وهو الاستدراج للعقوبة والعياذ بالله. فاحذروا الاستدراج.

الفرق بين حسن الظن والغرور:

لابد أن يكون واضحاً لدى المؤمن الفرق بين حسن الظن والغرور، وأن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور، وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه جاذباً له إلى الطاعة، زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته

رجاء، ورجاؤه بطالة وتفريطاً، فهو المغرور, ولو أن رجلاً كانت لـه أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه فأهملها ولم يبذرها ولم يحرثها، وأحسن ظنـه بأنـه يـأتي من مغلها ما يأتي من غير حرث ولا بذر ولا سقى ولا تعاهد للأرض لعده النـاس من أسفه السفهاء, وكذلك لو حسن ظنـه وقوي رجـاؤه بأنـه يجيئـه ولـد من غير زواج, أو يصير أعلم زمانه من غير طلب العلم، وحرص تـام عليـه، وأمثـال ذلك. فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق.

وقد قـال الله تعـالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ "

[سـورة البقـرة: 218]. فتأمـل كيـف جعـل رجـاؤهم بإتيـانهم بهـذه الطاعـات, وقـال المغتـرون : إن المفـرطين المضـيعين لحقـوق الله المعطلـين لأوامـره، البـاغين علـى عباده، المتجرئين على محارمه، أولئك يرجون رحمة الله!!!

ونقـول كيـف لهـؤلاء أن يكـون لهـم رجـاء لرحمـة الله مـع هـذا البعـد عـن طاعاتـه ومرضاته, والانغماس في الشهوات والملذات المحرمات فهذا من أعجب العجائب وأغرب الغرائب.

وسر المسألة: أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التـي اقتضتها حكمة الله في شرعه, وقدره, وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنـه بربـه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، وأن يصـرف مـا يعرضـها للحبوط ويبطل أثرها.

ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

أحدها: محبة ما يرجوه, الثـاني: خوفـه من فواتـه, الثالـث: سعيه فـي تحصيله بحسب الإمكان, وأمـا رجـاءٌ لا يقارنـه شـيء من ذلك فهو من بـاب الأمـاني, والرجـاء شـيء والأمـاني شـيء آخـر, فكل راج خـائف والسـائر علـى الطريق إذا خـاف أسـرع السير مخافة الفوات, وفـي جـامع الترمذي من حـديث أبـي هريـرة قـال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: "من خـاف أدلج ومن أدلج بلغ المنـزل, ألا إن سـلعة الله غاليـة ألا إن سـلعة

الله الجنة" وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة, جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة, فعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل.

الخوف كل الخوف من عدم قبول الأعمال الصالحة ... !!!

إعلم أخي الحبيب حفظك الله أنه لا يوجد بيننا وبين الله ضمانة أن يقبل أعمالنا دون رد أو دون حساب, ولذلك ينبغي على المؤمن أن يعبد ربه بين الخوف والرجاء, الخوف من عدم قبول الأعمال دون العقوبة, والرجاء أن يقبلها الله ومن ثم النجاة من العقوبة, وهذا ما يجب أن يدفع المؤمن لمزيد من العمل الصالح الطيب.

قال الله تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ, وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [سورة المؤمنون : 57 - 61].

وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال: لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات".

والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن, ومن تأمل أحوال الصحابة - رضي الله عنهم - وجدهم في غاية الجد في العمل مع غاية الخوف، ونحن جميعاً بين التقصير، بل التفريط والأمن.

خوف الصحابة الكرام من عدم القبول:-

ليس هناك جيل عرفته الدنيا أفضل من جيل الصحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين- عملاً وجهداً وجداً وبذلاً وعطاءً لهذا الدين العظيم.

ومع كل هذا ملأ قلوبهم الخوف العظيم من الرب العظيم سبحانه بألا يقبل منهم, فلم يركنوا إلى أعمالهم ولا إلى سابقتهم في الإسلام, ولا إلى تحلقهم حول النبي - صلى الله عليه وسلم- وحمايتهم له في الأوقات العصيبة, وقد ظهر ذلك الخوف أيما ظهور

عند كبار هؤلاء العظام, فهذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقول: "وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن" ذكره الأمام أحمد عنه.

وذكر عنه أيضاً أنه كان يمسك بلسانه ويقول: "هذا أوردني الموارد" وكان يبكي كثيراً ويقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا. وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل, وأُتى بطائر فأخذ يقلبه ثم قال: ما صيد من صيد، ولا قطعت شجرة من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح. فلما احتضر قال لعائشة: يا بنية إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذه الحلاب وهذا العبد، فأسرعي به إلى ابن الخطاب، وقال: "والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد". أي تقطع, وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر قال: ليتني خضرة تأكلني الدواب.

وهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: " إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ " [سورة الطور : 7]

فبكى واشتد بكاؤه, حتى مرض وعادوه, وقال لابنه وهو في سياق الموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني، ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثاً، ثم قضي.

وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخنقه العبرة، فيبقى في البيت أياماً ويعاد ويحسبونه مريضاً، وكان في وجهه - رضي الله عنه - خطان أسودان من البكاء, وقال له ابن عباس مصر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل وفعل، فقال: وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر.

وهذا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبل لحيته، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبكاؤه وخوفه، وكان يشتد خوفه من اثنين: طول الأمل واتباع الهوى، قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة قد أسرعت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

وهذا أبو الدرداء - رضي الله عنه - كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي: يا أبا الدرداء، قد علمت، فكيف عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل.

وهذه كوكبة أخرى من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنهم أجمعين كانت لهم مواقف مشابهة وأقوال متقاربة, وخوف واحد من الله الواحد, فلم يركنوا إلى عمل صالح أبداً.

فهذا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- كان أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع. **وكان أبو ذر يقول:** يا ليتني كنت شجرة تعضد، ووددت أني لم أخلق, وعرضت عليه النفقة فقال: عندنا عنز نحلبها, وحمر ننقل عليها، ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة، وإني أخاف الحساب فيها, وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات" [سورة الجاثية : 21] جعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح – رضي الله عنه-: وددت أني كبش فذبحني أهلي، وأكلوا لحمي وحسوا مرقي.

وهذه كوكبة من العلماء والصالحين كلهم يخاف أن يحبط عمله, أو أن يكون من المنافقين, فهذا الأمام البخاري رحمه الله يقول في صحيحه: "باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر" **وقال إبراهيم التيمي**: "ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً. **وقال ابن أبي مليكة**: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهم يخاف على نفسه من النفاق، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل. ويذكر عن الحسن أنه قال عن النفاق: ما خافه إلا مؤمن، وما أمنه إلا منافق".

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: أنشدك الله هل سماني لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يعني في المنافقين؟ فيقول: لا ولا أزكي بعدك أحداً.

من أضرار الذنوب والمعاصي:-

ينبغي بداية أن نعلم أن الذنوب هي داء عضال إن استمر على العبد أفسد دنياه وآخرته, ومما ينبغي أن نعلمه أن الذنوب والمعاصي تضر - ولا شك- وأن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الأحزان والآلام والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه, فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظى، وبالإيمان كفراً وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من رحمته غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه - أي أسقطه- ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قواداً لكل فاسق ومجرم، رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رأس الجبال؟ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من سجيل السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟ وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رءوسهم أمطر عليهم نارا تلظى؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟ وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميراً؟ وما الذي أهلك قوم صالح بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟ وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديدٍ فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذراري والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيراً؟

وما الذي سلط عليهم بأنواع العذاب العقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: " لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ " الأعراف 167.

أخرج الأمام أحمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: "لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء يبكي جالساً وحده، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى". وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قوله " لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم" أي حتى تكثر ذنوبهم ويتضح عذر من يعاقبهم.

وفي مسند أحمد من حديث أم سلمة قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده، فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذٍ أناس صالحون؟ قال: بلى، قلت: كيف يصنع بأولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان".

وفي مراسيل الحسن عن النبي - صلى الله عليه وسلم – "لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمالئ قراؤها أمراءها، وما لم يُزَكِّ صلحاؤها فجارها، وما لم يهن شرارها خيارها، فإذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم، ثم سلط عليهم جبابرتهم فيسومونهم سوء العذاب، ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر.

وفي المسند من حديث ثوبان قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه".

وفيه أيضاً قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قلنا: يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذٍ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهة الموت".

وفي المسند من حديث أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم".

وفي مراسيل الحسن: "إذا أظهر الناس العلم، وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا بالأرحام، لعنهم الله عز وجل عند ذلك، فأصمهم وأعمى أبصارهم".

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه-: "إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله عز وجل بهلاكها".

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: يخرج في آخر الزمان قوم يَخْتِلون الدنيا بالدين، ويلبسون للناس مسوك الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عز وجل: "أبي يغترون؟ أم عليَّ تجترئون؟ فبي حلفت "لأبعثن أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران".

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث علي - رضي الله عنه-: "يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة، وهي خراب من الهدى، علماؤهم أشر من تحت أديم السماء، فمنهم خرجت الفتنة وفيهم تعود".

وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما- قال: "كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوجهه فقال: يا معشر المهاجرين, خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة

أموالهم إلا منعوا القطر من السماء, ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خَفَر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم, فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم".

وفي المسند والسنن من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إن من كان قبلكم كان إذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهي تعذيراً، فقال: يا هذا اتق الله فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه، كأنه لم يره على خطيئة بالأمس، فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون, والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطرا - أي تعطفوه عليه- أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم".

وجوب غيرة المؤمنين على محارم الله تعالى:-

وذكر ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن عمرو الصنعاني قال: "أوحى الله إلى يوشع بن نون, إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم، وستين ألفاً من شرارهم، قال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: لم يغضبوا لغضبي، وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم".

وذكر ابن عبد البر عن أبي عمران قال: "بعث الله عز وجل ملكين إلى قرية أن دمراها بمن فيها، فوجدا فيها رجلاً قائماً يصلي في مسجد، فقالا: يا رب إن فيها عبدك فلاناً يصلي، فقال الله عز وجل: دمراها ودمراه معهم، فإنه ما تمعر وجهه فيَّ قط".

وذكر ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك: أنه دخل على عائشة هو ورجل آخر، فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة، فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمور، وضربوا بالمعازف، غار الله عز وجل في سمائه، فقال للأرض تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلا أهدمها عليهم، قال: يا أم المؤمنين، أعذاباً لهم؟ قالت: بل

موعظة ورحمة للمؤمنين، ونكالاً وعذاباً وسخطاً على الكافرين، فقال أنس: ما سمعت حديثاً بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا أشد فرحاً مني بهذا الحديث".

المعاصي والزلازل:-

وذكر ابن أبي الدنيا حديثاً مرسلاً: "إن الأرض تزلزلت على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوضع يده عليها, ثم قال: اسكني فإنه لم يأن لك بعد، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: إن ربكم ليستعتبكم فأعتبوه، أي يطلب منكم أن ترضوه بالرجوع إليه فارجعوا كما طلب منكم- ثم على عهد عمر بن الخطاب فقال: يا أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبدا".

وفي مناقب عمر لابن أبي الدنيا: "أن الأرض تزلزلت على عهد عمر- رضي الله عنه- فضرب بيده، وقال: مالك؟ أما إنها لو كانت القيامة لحدثت أخبارها، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبر إلا وهو ينطق".

وذكر الإمام أحمد عن صفية، قالت: "زلزلت المدينة على عهد عمر، فقال: يا أيها الناس ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا أساكنكم فيها". وقال كعب: "إنما زلزلت الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقاً من الرب جل جلاله أن يطلع عليها".

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: "أما بعد فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به العباد، وقد كتبت إلى الأمصار أن يخرجوا في يوم كذا, فمن كان عنده شيء فليتصدق به، فإن الله عز وجل قال: "قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى", وقولوا كما قال آدم:

" رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ", وقولوا كما قال نوح: " وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ", وقولوا كما قال يونس: " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ".

أيها الناس احذروا بلاء الله وعقابه:-

وقال الإمام أحمد عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "إذا ضن الناس بالدينار والدرهم (أي بخلوا)، وتبايعوا بالعينة (وهو بيع الشيء بثمن مؤجل ويسلمه للمشتري ثم يشتريه منه قبل قبض الثمن نقداً أقل تحايلاً على الربا)، واتبعتم أذناب البقر (أي اشتغلوا بالحرث والمواشي في وقت الجهاد والنفير)، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء, فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم, ورواه أبو داود بإسناد حسن.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر قال: "لقد رأينا وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم".

ولقد سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتركوا الجهاد في سبيل الله، وأخذوا أذناب البقر، أنزل الله عليهم من السماء بلاء، فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم".

وقال الحسن: إن العينة والله ما هي إلا عقوبة من الله عز وجل على الناس".

ونظر بعض أنبياء بني إسرائيل إلى ما يصنع بهم بختنصر، فقال: "بما كسبت أيدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا". وقال بختنصر لدانيال: "ما الذي سلطني على قومك؟ قال: عظم خطيئتك وظلم قومي أنفسهم".

وفي مراسيل الحسن: "إذا أراد الله بقوم خيراً جعل أمرهم إلى حلمائهم، وفيئهم عند سمحائهم، وإذا أراد الله بقوم شراً جعل أمرهم إلى سفهائهم، وفيئهم عند بخلائهم".

علامات الغضب والرضا من الله الرحيم الرحمن:-

وذكر الإمام أحمد عن قتادة قال يونس: "يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فما علامة غضبك من رضاك؟ قال: إذا استعملت عليكم خياركم فهو من علامة رضائي عليكم، وإذا استعملت عليكم شراركم فهو من علامة سخطي عليكم".

وذكر ابن أبي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال: "أوحى الله إلى بعض الأنبياء, إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني".

وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ما طفف قوم كيلاً، ولا بخسوا ميزاناً، إلا منعهم الله

عز وجل القطر، وما ظهر في قوم الزنا, إلا ظهر فيهم الموت، وما ظهر في قوم الربا إلا سلط الله عليهم الجنون، ولا ظهر في قوم القتل - يقتل بعضهم بعضاً - إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم ولم يسمع دعاؤهم...".

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنيل رضي الله سبحانه:-

وفي المسند وغيره من حديث عروة عن عائشة قالت: "دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد حفزه النَفَس (أي اشتد) فعرفت في وجهه أن قد حفزه شيء، فما تكلم حتى توضأ، وخرج فلصقت بالحجرة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "يا أيها الناس اتقوا ربكم, إن الله عز وجل يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتستنصروني فلا أنصركم، وتسألوني فلا أعطيكم".

وقال العمري الزاهد: "إن من غفلتك عن نفسك، وإعراضك عن الله: أن ترى ما يسخط الله فتتجاوزه، ولا تأمر فيه، ولا تنهى عنه، خوفاً ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً", وقال: "من ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مخافة من المخلوقين، نزعت منه الطاعة، ولو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف بحقه" أي لاستخف المدعو بحق الداعي لأنه يدرك أنه يدعوه متجرئاً عليه مع خوفه من الأخرين.

وذكر الإمام أحمد في مسنده من حديث قيس بن حازم قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه-: "يا أيها الناس إنكم تتلون هذه الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها, ولا تدرون ما هي

" أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ "

[سورة المائدة : 105], وإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه - وفي لفظ: إذا رأوا المنكر فلم يغيروه - أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده".

وذكر الأوزاعي فيما يرويه بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إذا أخفيت الخطيئة فلا تضر إلا صاحبها، وإذا أظهرت فلم تغير ضرت العامة".

إذا فشت الذنوب ماتت القلوب وساد أهل العيوب:-

وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-: "توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها على أبرارها، وساد القبيلة منافقوها".

وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: سيظهر شرار أمتي على خيارها، حتى يستخفي المؤمن فيكم كما يستخفي المنافق فينا اليوم".

متابعة الفعل لما يأمر به أو ينهى عنه:-

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون, كبر مقتاً عند الله أن تقولون ما لا تفعلون ..." الصف

وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه (أي أمعاؤه) فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، (أي الطاحونة) فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون أي فلان، ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه, وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

خطورة الاستهانة بالذنوب:-

وذكر الإمام أحمد عن مالك بن دينار قال: "كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء، فيعظهم ويذكرهم بأيام الله، فرأى بعض بنيه يوماً يغمز النساء، فقال: مهلاً يا بني، فسقط من سريره، فانقطع نخاعه، وأسقطت امرأته، وقتل بنوه، فأوحى الله إلى نبيهم: أن أخبر فلاناً الخبر: أني لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً، ما كان غضبك إلا أن قلت: مهلاً يا بني مهلاً يا بني".

وذكر الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب لهن مثلاً، كمثل القوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالبعرة، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها" يدل ذلك الحديث على أن تراكم الذنوب الصغيرة يجعلها تكبر وتهلك صاحبها فلا نستهين بالصغائر أبداً.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: "إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، وإن كنا لنعدها في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الموبقات" أي المهلكات.

وفي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض".

يا صاحب الذنب احذر فتنته وعاقبته:-

جاء في الحلية لأبي نعيم عن حذيفة أنه قيل له: "في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء فعلوه، حتى انسلخوا من دينهم, كما ينسلخ الرجل من قميصه".

قال بعض السلف: "المعاصي بريد الكفر، ولا يعني ذلك أن المعصية كفر أو أن العاصي كافر, ولكن الإصرار على المعصية والاستهانة بها قد تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله.

وفي الحلية أيضاً عن ابن عباس أنه قال: "يا صاحب الذنب لا تأمن فتنة الذنب وسوء عاقبة الذنب، ولتتبعك الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب، وضحكك وأنت لم تدر ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب, ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب، ويحك هل تدري ما كان ذنب أيوب -عليه السلام- فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب ماله؟ استغاث به مسكين على ظالم يدرؤه عنه فلم يغثه، ولم ينه الظالم عن ظلمه، فابتلاه الله".

أيها العاقل لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظم من عصيت:-

روى الأمام أحمد بسنده عن هلال بن سعد قال: "لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت. وقال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله, وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى، يا موسى إن أول من مات من خلقي إبليس، وذلك أنه أول من عصاني، وإنما من عصاني من الأموات.

وفي المسند والترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" قال الترمذي هذا حديث صحيح.

وقال حذيفة: "إذا أذنب العبد ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الرمداء. وذكر الإمام أحمد عن عامر قال: كتبت عائشة إلى معاوية أما بعد: فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذماً.

وذكر أبو نعيم عن أبي الدرداء قال: "ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري مم هذا؟ قلت: لا، قال: إن العبد يخلو بمعاصي الله, فيلقي الله بغضبه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر".

نكتة لطيفة يلغط بها الناس:-

يقول ابن القيم وهاهنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في أمر الذنب, وهي أنهم لا يرون تأثيره في الحال وقد يتأخر تأثيره فينسى, ويظن العبد أنه لا يُغَبِّرُ بعد ذلك ...

وسبحان الله: ماذا أهلكت هذه النكتة من الخلق؟ وكم أزالت غبار نعمة؟ وكم جلبت من نقمة؟ وما أكثر المغترين بها العلماء والفضلاء، فضلاً عن الجهال، ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقض ولو بعد حين، كما ينقض السهم، وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدغل.

وقد ذكر الإمام أحمد عن أبي الدرداء: "اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يكفيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى.

هذا مع أن للذنب نقداً معجلاً لا يتأخر عنه، قال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته.

من الآثار القبيحة للمعاصي:-

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن ما لا يعلمه إلا الله **فمنها:- حرمان العلم**, فإن العلم نور يقذفه الله في القلب, والمعصية تطفئ ذلك النور.

لما جلس الأمام الشافعي بين يدي مالك, وقرأ عليه, أعجبه ما رأى من وفور فطنته , وتوقد ذكائه , وكمال فهمه, فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية... ومنها حرمان الرزق, وفي المسند: إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه...

كما أن تقوى الله مجلبة للرزق, فترك التقوى مجلبة للفقر, فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلاً ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة, وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة , وما لجرح بميت إيلام..

ومن أضرارها وحشة القلب :-

شكى رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه, فقال له: إذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس- أي إن الذنوب سبب شعورك بوحشة في قلبك, فإذا تركتها استأنس قلبك بالقرب من ربك. ومنها الوحشة التي تحصل بينه وبن الناس- لاسيما أهل الخير منهم, فكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان وحزبه بقدر ما بعد من حزب الرحمن, وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته, وولده وأقاربه وبينه وبين نفسه, فتراه مستوحشا من نفسه, وقال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

ومنها تعسير أموره... فكيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين أتى؟ أي لا يعلم أين كان في خير أو شر, بل من المعصية أتى.

ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن, فأما وهنها للبدن, فان المؤمن قوته في قلبه, وكلما قوى قلبه قوى بدنه, وأما الفاجر فإنه وإن كان قوى البدن فهو أضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته, فتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم وهم أحوج ما كانوا إليها, وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم, وهذا ما يكون مع اليهود في فلسطين هذه الأيام إن شاء الله .

احذروا المعاصي فإنها تجر غيرها:-

إن من أخطر أضرار المعاصي أنها تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها, كما قال بعض السلف: :إن من عقوبة السيئة: السيئة بعدها وأن من ثواب الحسنة: الحسنة بعدها, فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جنبها :اعملني أيضا، فإذا عملها قالت الثالثة كذلك, وهلم جرا, فيتضاعف الربح وتتزايد الحسنات, وكذلك كانت السيئات أيضاً، حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة, وملكات ثابتة, فلو عطل المحسن الطاعات لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت, وأحس من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء, حتى يعاودها, فتسكن نفسه وتقر عينه, ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق صدره وأعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها, حتى إن كثيراً من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية إليها إلا لما يجد من الألم بمفارقتها, ذلك أنه ما تركها توبة ولا إقبالاً على الله, ولا ندماً على فعلها, ولو فعل ذلك ليسر الله له التوبة والإنابة, ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه وتعالى برحمته عليه الملائكة تؤزه إليها أزاً, وتحرضه عليها, وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليه, أو لا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله إليه الشياطين فتؤزه إليها أزاً, فالأول قوى جند الطاعة بالمدد فكانوا من أعوانه, والأخر قوى جند المعصية بالمدد فكانوا أعواناً عليه.

احذروا استصغار الذنوب واحتقارها, فإنها المهلكة:-

إن من أضرار المعاصي أنه ينسلخ من القلب استقباحها، فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه, ويحدث بها من لم يكن يعلم أنه عملها, وهؤلاء تسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم أبوابها في الغالب، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم: كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من الإجهار أن يستر على العبد ثم يصبح يفضح نفسه, ويقول: يا فلان عملت يوم كذا كذا وكذا وكذا فيهتك نفسه، وقد بات يستره ربه.

ومن أضرارها أن المعصية سبب لهوان العبد على الله, قال الحسن :هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى:

" وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ " وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفاً من شرهم ، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه .

ومنها أن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله, وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار" .

ومن أضرارها أن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها ، فكان من الغافلين, كما قال بعض السلف في قوله تعالى : كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" قال : هو الذنب بعد الذنب, وقال الحسن : هو الذنب على الذنب ، حتى يعمي القلب, وقال غيره : لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم, وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية ، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً ، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً ، فيصير القلب في غشاوة وغلاف ، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار أعلاه أسفله ، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد.

من عقوبات المعاصي كما رآها النبي – صلى الله عليه وسلم:-

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مما يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا ؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص ، وأنه قال لنا ذات غداة : إنه أتاني الليلة آتيان ، وإنهما انبعثا لي ، وإنهما قالا لي : انطلق, وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع, وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه فيتهدهده الحجر هاهنا وهاهنا, فيقع الحجر ، فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى ، قال : قلت لهما : سبحان الله ما هذان ؟ قالا لي : انطلق انطلق - يثلغ أي يشدخ, يتهدهده أي يتدحرج. فانطلقنا ، فأتينا على رجل مستلق لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد – الكلوب أي الكلاب الذي يعلق به اللحم - وإذا هو يأتي أحد شدقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر ، فيفعل به كما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثلما فعل في المرة الأولى ، قال قلت : سبحان الله ما هذان ؟ فقالا لي : انطلق انطلق.

فانطلقنا فأتينا على مثل التنور ، وإذا فيه لغط وأصوات، قال فاطلعنا فيه ، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا – أي صاحوا وصرخوا- ، فقال قلت : من هؤلاء ؟ قال: فقالا لي : انطلق انطلق . فانطلقنا ، فأتينا على نهر أحمر مثل الدم ، فإذا في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً ، فينطلق فيسبح ، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه ، فيفغر له فاه فيلقمه حجراً ، قال: قلت لهما : ما هذان ؟ قالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا ، فأتينا على رجل كريه المرآة – أي المنظر- كأكره ما أنت راء رجلاً، وإذا هو عنده نار يحثها ويسعى حولها ، قال: قلت لهما : ما هذا ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا حتى أتينا على روضة معتمة - أي حديقة كثيفة النبات - فيها من كل نور الربيع ، وإذا بين ظهراني الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط ، قال: قلت: ما هذا ؟ وما هؤلاء ؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق .

فانطلقنا ، فأتينا إلى دوحة عظيمة - أي بستان - لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة - أي طوب من ذهب وطوب من فضة- قال: فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا ، فدخلناها فتلقانا رجال، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء - أي نصف من وجههم- وشطر كأقبح ما أنت راء، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، قال: وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا، وقد ذهب ذلك السوء عنهم ، قال: قالا لي: هذه جنة عدن, وهذاك منزلك, قال: فسما بصري صعداً، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قال: قالا لي: هذاك منزلك، قال قلت لهما: بارك الله فيكما، فذراني فأدخله، قالا : أما الآن فلا، وأنت داخله, قال قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي: أما إنا سنخبرك, أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة, وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه ، فإنه الرجل يغدو إلى بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق, وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني, وأما الرجل الذي أتيت عليه فيسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا, وأما الرجل الكريه المنظر الذي عند النار يحثها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم, وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم, وأما الولدان الذين حوله

فكل مولود مات على الفطرة ... وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح ، فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم". رواه البخاري وغيره

هذه صورة مصغرة للمعاصي وأضرارها وعقوباتها أراها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم- ليخبر بها المسلمين عسى الله تعالى أن يجعل في قلوبنا منها رهبة وخوفاً حتى لا يقع فيها المسلمون, ونسأل الله تعالى الرحمة والغفران.

ومن أضرار الذنوب والمعاصي فساد في البر والبحر ونقص في الأرزاق:-

ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء ، والزرع ، والثمار ، والمساكن ، قال تعالى " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون" قال مجاهد " إذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر- أي المطر- فيهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، ثم قرأ " ظهر الفساد في البر والبحر ....." ,ثم قال: " أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر " وقال عكرمة: ظهر الفساد في البر والبحر، أما إني لا أقول لكم: بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء.

قال أهل العلم: إما أن يكون أراد بالفساد الذي ظهر آثار الذنوب على البر والبحر, فتكون الذنوب هي سبب الفساد, أو أراد بالفساد الذنوب نفسها, فكلما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة, ومن تأثير معاصي الله كذلك ما يحل في الأرض من الخسف والزلازل ومحق البركة، ومما روي في ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – مر على ديار ثمود ، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شرب مياههم، ومن الاستسقاء من آبارهم ، حتى أمر أن لا يعلف العجين الذي عجن بمياههم لنواضح الإبل لتأثير شؤم المعصية في الماء ، وكذلك شؤم تأثير الذنوب في نقص الثمار وما ترى به من الآفات ....

احذروا الذنوب فإنها تزيل النعم:-

ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم، وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب ، ولا حلت به نقمة إلا بسبب ذنب، كما قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- " ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة " وقد قال تعالى " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير " وقال تعالى " ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غير غير عليه جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد, فإن غير المعصية بالطاعة، غير الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز, وقال تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم, وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال " وفي بعض الآثار مما روي عن الله تعالى أنه قال " وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب، ثم ينتقل عنه إلى ما أكره إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره، ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره، فينتقل عنه إلى ما أحب، إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب, وقد أحسن الشاعر في ذلك حيث قال:

إذا كنت في نعمة فارعـــــــها	فـــإن الذنوب تزيل الـــــنعم
وحطها بطاعة رب العبـــــاد	فرب العبـــاد سريـــع النقم
وإياك والظلم مهمـــا استطعت	فظلم العبـاد شديد الـــــوخم
وســافر بقلبك بيـــن الـــورى	لتبصــر آثــــــار من قد ظلم
فتلك مســـــــاكنهم بعـــــدهم	شـــــهود عليهم ولا تتـــــهم
ومـــا كـــان شـــيء عليهم	من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنـــــان ومـــن	قصور وأخرى عليهم أطـــم
صلوا بالجحيم وفـــــات النعيم	وكــــان الذي نالــهم كالحلم

ولولا أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه، ومغفرته سبقت عقوبته، لتزلزلت الأرض بمن قابله بما لا يليق به سبحانه، ولولا حلمه ومغفرته لزالت السماوات والأرض من

معاصـي العبـاد، قـال تعـالى " إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا "
فتأمل ختم هذه الآية باسمين من أسمائه، وهي الحليم والغفور, أي أنـه لـولا حلمـه عن الجنـاة ومغفرتـه للعصـاة لمـا استقرت السماوات والأرض, أخبـر سبحانه عن كفر بعض عباده حيث قال" تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ", وقد أخرج الله سبحانه الأبوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه ، ولعن إبليس وطرده وأخرجه من ملكوت السماوات والأرض بذنب واحد ارتكبه وخالف فيه أمره، ونحن معاشر المقصرين نخشى أن يكون قد تحقق فينا قول الشاعر:

نصل الذنوب إلى الذنوب ونرتجي درج الجنان لذي النعيم الخالد
ولقـد علمنا أخرج الأبويـــن مـــن ملكوته الأعلـــى بذنب واحد

المعاصي تزيل النعم الحاصلة, وتقطع النعم الواصلة:-

وهذه العقوبـة مكملـة إلـى مـا سبق بيانـه من أضـرار الـذنوب والمعاصـي كيف تفعل بصـاحبها فهـي تزيـل النعم الحاضـرة بين يـدي صـاحبها، وتقطـع النعم الواصـلة التـي ينتظـر قـدومها إليهـا، فهـي تزيـل الحاصـلة، وتمنـع الواصـلة، فـإن نعـم الله مـا حفـظ موجودها بمثل الطاعة، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته سبحانه، فـإن مـا عند الله لا ينال إلا بطاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سبباً وآفة، سبباً يجلبـه، وآفـة تبطلـه، فجعل أسباب نعمـه الجالبـة لهـا طاعتـه، وآفاتهـا المانعـة لهـا معصيته ، فـإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنـه خذلـه حتـى عصـاه بها.

ومن العجيب علم العبد بذلك مشـاهدة فـي نفسـه وغيره، وسماعاً لمـا غـاب عنـه من أخبار من أزيلت نعم الله عنه بمعصيته، وهو مقيم على معصية الله، كأنـه مستثنى من هذه الجملة، أو مخصوص من هذا العموم، وكـأن هذا أمر جـار علـى النـاس لا عليـه، وواصـل إلـى الخلـق لا إليـه، فـأي جهـل أبلـغ مـن هـذا ؟ وأي ظلـم للـنفس فـوق هـذا ؟ فالحكم لله العلي الكبير .

ومن عقوبة الذنوب المعاصي أنها تمحق البركة من العمر والرزق:-

ومن عقوباتها أنها تمحق بركة العمر ، وبركة الرزق ، وبركة العلم ، وبركة العمل، وبركة الطاعة, وبالجملة أنها تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما محيت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق، قال الله تعالى :

" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..." وقال تعالى" وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ "

إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه, وفي الحديث " إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته، وإن الله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط"

وليست سعة الرزق والعمل بكثرته، ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام، ولكن سعة الرزق وطول العمر بالبركة فيه, وإن عمر العبد هو مدة حياته، وإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تعوض عنها بما تعوض به في الدنيا، بل ليست الدنيا أجمعها عوضاً عن هذه الحياة، فمن كل شيء يفوت العبد عوض فمن فاته الله تعالى لم يعوض عنه شيء البتة, وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات؟ والعاجز بالذات عن القادر بالذات؟ والميت عن الحي الذي لا يموت؟ والمخلوق عن الخالق، وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات والأرض؟

الشيطان مع المعصية وسبب المحق:-

وإنما كانت معصية الله سبباً لمحق بركة الرزق والأجل لأن الشيطان موكل بها وبأصحابها، فسلطانه عليهم، وحوالته على هذا الديوان وأهله وأصحابه، وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه، فبركته ممحوقة، ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع, لما في مقارنة اسم الله تعالى من البركة، وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة.

البركة من الله وحده فاحذروا معصيته:-

إن الله تعالى هو الذي يبارك وحده والبركة كلها منه، وكل ما نسب إليه مبارك، فكلامه مبارك، ورسوله مبارك، وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك، وبيته الحرام مبارك، وكنانته من أرضه وهي الشام أرض البركة، فلا مبارك إلا هو وحده، ولا مبارك إلا ما نسب إليه، أي إلى محبته وألوهيته ورضاه ...، وكل ما باعده من نفسه من الأعيان والأقوال والأعمال فلا بركة فيه ولا خير، وكل ما كان منه قريباً من ذلك ففيه من البركة على قدر القرب منه.

اللعنة ضد البركة, والمعصية سببها:-

وضد البركة اللعنة, فأرض لعنها الله, أو شخص لعنه الله, أو عمل لعنه الله, أبعد شيء من الخير والبركة، وكل ما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه أبداً, وقد لعن عدوه إبليس وجعله أبعد خلقه منه، فكل ما كان جهته فله من لعنة الله بقدر قربه واتصاله، فمن هنا كان للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل، وكل وقت عصيت الله فيه، أو مال عصي الله به، أو بدن أو جاه أو علم أو عمل عصي الله به فهو على صاحبه ليس له، فليس من عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله إلا ما أطاع الله به, وإلا فمن الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة أو نحوها وعمره لا يبلغ عشرين سنة أو نحوها وهكذا الجاه والعلم, روى الترمذي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال " الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله عز وجل وما والاه، أو عالم أو متعلم" وفي أثر آخر " ملعونة الدنيا, ملعون ما فيها, إلا ما كان لله" هذا هو الذي فيه البركة خاصة، والله المستعان .

العاصي أسير شيطانه:-

ومن عقوبة المعصية أن العاصي دائماً في أسر شيطانه، وسجن شهواته، وقيود هواه، فهو أسير مسجون مقيد، ولا أسير أسوأ حالاً من أسير أسره أعدى عدو له، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟ وكيف يخطو خطوة واحدة؟

وإذا تقيد القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده، ومثل القلب مثل الطائر، كلما علا بعد عن الآفات، وكلما نزل استوحشته الآفات, وفي الحديث " الشيطان ذئب الإنسان" وكما أن الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب، فكذا العبد إذا لم يكن عليه حافظ من الله فذئبه مفترسه ولا بد، وإنما يكون عليه حافظ من الله بالتقوى فهي وقاية وجُنة حصينة بينه وبين ذئبه، كما هي وقاية بينه وبين عقوبات الدنيا والآخرة، وكلما كانت الشاة أقرب من الراعي كانت أسلم من الذئب، وكلما بعدت عن الراعي كانت أقرب إلى الهلاك، وأحمى ما تكون الشاة إذا قربت من الراعي، وإنما يأخذ الذئب القاصي من الغنم، وهي الأبعد من الراعي .

وأصل هذا كله أن القلب كلما كان أبعد من الله كانت الآفات إليه أسرع، وكلما كان أقرب من الله بعدت عنه الآفات, والبعد من الله مراتب بعضها أشد من بعض, فالغفلة تبعد القلب عن الله ، وبعد المعصية أعظم من بعد الغفلة، وبعد النفاق والشرك أعظم من ذلك كله.

المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب سبحانه:-

ومن أعظم أخطار المعاصي وأضرارها أنها تذهب من القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب, فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروه الله حق قدره، فكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، أو يرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه؟ وهذا من أكبر المحال، وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه .

المعاصي تذهب الحياء:-

ومن آثار المعاصي وعقوبتها أنها تذهب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير ، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه.

وفي الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " الحياء خير كله" وقال – عليه الصلاة والسلام- " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت" وفي الحديث تفسيران, **أحدهما**: أنه على التهديد والوعيد, والمعنى من لم يستح فإنه يصنع ما يشاء من القبائح, إذ الحامل على تركها الحياء، فإذا لم يكن هناك حياء يزعه عن القبائح فإنه يواقعها، وهذا تفسير أبي عبيدة.

والثاني: أن الفعل إذا لم تستح فيه من الله فافعله، وإنما الذي ينبغي تركه هو ما يستحى فيه من الله ، وهذا تفسير الإمام أحمد.

فعلى الأول: يكون تهديد ووعيد، وعلى الثاني: يكون إذناً وإباحة, واعتبار أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر, والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكلية، وربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا بإطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر هو عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يبق في صلاحه مطمع, وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حياه وقال : فديت من لا يفلح, يعنى فرحاً وسروراً من إبليس بهذا العبد الذي فقد الحياء.

والحياء مشتق من الحياة... فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثاً، ومن استحى من الله عند معصيته، استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستحى من الله تعالى عند معصيته لم يستحى الله من عقوبته .

المعاصي تقتل الشهامة والغيرة:-

لما كانت المعاصي والذنوب تذهب الحياء الذي هو حياة القلوب, فإنها كذلك تقتل الشهامة والنخوة والغيرة على النفس وعموم الناس, والغيرة هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، وهي النار التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس

وأعلاهم قدراً وهمة أشدهم غيرة, ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أغير الخلق على الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه، كما ثبت في الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني " وفي الصحيح أيضاً عنه – صلى الله عليه وسلم - أنه قال في خطبة الكسوف: "يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته " وفي الصحيح أيضاً عنه أنه قال: لا أحد أغير من الله, من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك أثنى على نفسه" فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي أصلها كراهة القبائح وبغضها، وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان، والله سبحانه مع كمال غيرته يحب أن يعتذر إليه عبده، ويقبل عذر من اعتذر إليه، من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذاراً وإنذاراً ، وهذا غاية المجد والإحسان ، ونهاية الكمال...

المعاصي تستدرج صاحبها لتقضي على الغيرة من قلبه:-

قد لا يبدأ العبد بالمعصية أو الذنب ولكنها تبدأ بحديث النفس, يعني الخاطرة, والخاطرة تتقلب وسوسة، والوسوسة تصير إرادة، والإرادة تقوى فتصير عزيمة، ثم تصير فعلاً، ثم تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة، وحينئذٍ يتعذر الخروج منهما كما يتعذر الخروج من صفاته القائمة به.

والمقصود: أنه كلما اشتدت ملابسة الذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب ضعفاً شديداً حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك.

بقتل الغيرة يصبح العاصي ديوثاً – والعياذ بالله:-

قد يصل الأمر ببعض أهل الذنوب والمعاصي انه لا يقتصر على عدم الاستقباح، بل يُحَسِّن الفواحش والظلم لغيره، ويزينه له، ويدعوه إليه، ويحثه عليه، ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله، والجنة عليه حرام، وكذلك محلل الظلم لغيره ومزينه لغيره، وهذا من الآثار الخبيثة لقلة الغيرة, وفي الحديث عن ابن عمر

رضي الله عنهما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال " ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق, والديوث الذي يقر في أهله الخبث" اللفظ لأحمد ورواه النسائي والبزار وصححه الحاكم.

الغيرة أصل الدين :-

نخلص مما سبق أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له، ولا يعني بذلك الكفر ولكن المقصود ضعف شديد في الإيمان ينذر بخطر شديد على صاحبه, فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة يميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة .

ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداءُ الممرض المحل قابلاً لوجوده، ولم يجد دافعاً لطرده، فتمكن فكان الهلاك.

وفي الغرب أوضح مثال:-

والمتأمل في أحوال الأمم الأخرى ممن استحكمت فيهم المعاصي وتفشت فيهم الذنوب حتى أصبحوا يسمونها بغير اسمها, فانتشرت فيهم حتى أصبحت الغيرة عندهم ضرباً من الماضي السحيق, وأصبح المجتمع كله غارقاً في الديوثية, وإذا ظهرت علامة ولو محددة للنخوة فسرعان ما يُقضي عليها في مهدها باسم الحرية الشخصية, ولعل ذلك مما سيكون سبباً لتعجيل العقوبة والهلاك.

المعصية توجب القطيعة بين العبد وربه:-

ومن أعظم عقوبات المعاصي والذنوب أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه سبحانه وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير واتصلت به أسباب الشر، فأي فلاح وأي رجاء؟ وأي عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي لا غنى عنه طرفة عين، ولا بدل له منه، ولا عوض له عنه، واتصلت به أسباب الشر، ووصل ما بينه وبين أعدائه فتولاه عدوه, وتخلى عنه وليه ؟ فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال من أنواع الآلام وأنواع العذاب, قال بعض السلف : رأيت العبد ملقى بين الله سبحانه وبين الشيطان، فإن أعرض عنه الله تولاه الشيطان، وإن تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان، وقد قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا " [سورة الكهف : 50] .

كأن الله سبحانه يقول لعباده: أنا أكرمت أباكم، ورفعت قدره، وفضلته على غيره، فأمرت ملائكتي كلهم أن يسجدوا له تكريماً وتشريفاً فأطاعوني وأبى عدوي وعدوه فعصى أمري، وخرج عن طاعتي، فكيف يحسن بكم بعد هذا أن تتخذوه وذريته أولياء من دوني فتطيعوه في معصيتي، وتوالوه في خلاف مرضاتي وهم أعدى عدو لكم؟

ونبه مولانا سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله : " وهم لكم عدو" [سورة الكهف: 50] ، كما نبه على قبحها بقوله تعالى : " ففسق عن أمر ربه " [سورة الكهف : 50] ، فتبين أن عداوته لربه وعداوته لنا، كل منهما سبب يدعو إلى معاداته، فما هذه الموالاة؟ وما هذا الاستبدال؟ بئس للظالمين بدلاً.

المعصية تجرئ على صاحبها الآخرين:-

ومن عقوبة المعاصي والذنوب وآثارها ونتائجها على صاحبها أنها تجرئ على العبد ما لم يكن يجرؤ عليه من أصناف المخلوقات، فتجرئ عليه الشياطين بالأذى والإغواء والوسوسة والتخويف والتغرير، وإنسائه ما مصلحته في ذكره، ومضرته في نسيانه، فتجترئ عليه الشياطين حتى تؤزه إلى معصية الله أزا, وتجرئ عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه من الأذى في غيبته وحضوره، وتجرئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم, قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق امرأتي ودابتي.

وكذلك تجرئ عليه أولياء الأمر بالعقوبة التي إن عدلوا فيها أقاموا عليه الحدود، وتجرئ عليه نفسه فتأسد عليه وتصعب، فإن أرادها بخير لم تطاوعه ولم تنقد له، بل تسوقه إلى ما فيه هلاكه، شاء أم أبي.

الطاعة حصن الله تعالى فاحذر أخي أن تفارقه:-

إن الذي يجرئ على العبد كل هذه المخلوقات أنه فارق الطاعة إلى المعصية, ففقد أسباب الحماية ونفض عن نفسه حصن الوقاية, ذلك لأن الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى الذي من دخله كان من الآمنين، فإذا فارق الحصن اجترأ عليه قطاع الطريق وغيرهم، وبحسب اجترائه على معاصي الله يكون اجتراء هذه الآفات والنفوس عليه، وليس له شيء يرد عنه.

فإن ذكر الله وطاعته والصدقة, وإرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وغيرها من الطاعات وقاية ترد عن العبد، بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه، فإذا سقطت القوة غلب وارد المرض وكان الهلاك، ولابد للعبد من شيء يرد عنه، فإن موجب السيئات والحسنات يتدافع ويكون الحكم للغالب, وكلما قوي جانب الحسنات كان الرد أقوى كما تقدم، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، والإيمان قول وعمل، فبحسب قوة الإيمان يكون قوة الدفع.

ومن أضرارها أنها تضعف إرادة صاحبها:-

وإن من أخطر أضرار المعصية على العبد أنها تضعف القلب عن إرادته، فتقوي إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله، وقد يأتي بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان الشيء الكثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها، عازم على مواقعتها متى أمكنه, وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.

وضرر المعصية يلحق غير صاحبها كذلك:-

لا يقف ضرر المعصية عند صاحبها فقط, بل قد يتعداه إلى غيره من الناس والدواب حيث يعود عليهم شؤم معصيته, فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم.

قال أبو هريرة: إن الحباري – وهو طائر مثل الدجاج – لتموت في وكرها من ظلم الظالم.

وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة – أي القحط والجدب – وأمسك المطر, وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم.

وقال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم.

فلا يكفيه عقاب ذنبه, حتى يلعنه من لا ذنب له.

المعاصي تورث الذل:-

وإن من أضرار المعاصي على صاحبها أنها تورثه الذل ولا بد, فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى ، قال سبحانه: "من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعاً" أي فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله سبحانه.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك .

قال الحسن البصري : إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم – البراذين نوع من الخيل, وهذا مظهر من العظمة وأنه مع المعصية لا يورثهم العزة أبداً - أبى الله إلا أن يذل من عصاه, قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

المعاصي تفسد العقل وتطفئ نوره:-

إن للعقل الذي حباه الله للإنسان نوراً يضيء له حياته, ويهديه لمعالم الطريق, وإن المعاصي تفسد العقل وتطفئ نوره ولا بد, وإذا طفئ نوره ضعف ونقص, قال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، وهذا ظاهر، فإنه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، وتحت قهره وهو مطلع عليه، وفي داره على بساطه, وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله، والاستخفاف به ذو عقل سليم؟؟

احذر أن تكون من الغافلين:-

إن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صحبها فكان - والعياذ بالله- من الغافلين, قال بعض السلف في قوله تعالى" كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" ، قال: هو الذنب بعد الذنب, وقال الحسن: هو الذنب على الذنب، حتى يعمي القلب, وقال غيره: لما كثرت الذنوب والمعاصي أحاطت بالقلوب.

وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انعكس فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد.

لعنة رسول الله !!!:-

ومنها أن الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه لعن معاصي معينة والتي غيرها أكبر منها، فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة, فلعن الواشمة والمستوشمة، والواصلة والموصلة، والنامصة والمتنمصة، والواشرة والمستوشرة, وهذه المعاصي تتعلق بأفعال معينة للنساء يعملنها بغرض الجمال, فالوشم الغرز بالإبر للجلد ثم يحشى بالكحل أو بأية مادة لوضع الزينة الثابتة, والواشمة هي التي تقوم بذلك والمستوشمة هي التي تطلب ذلك ليفعل لها.

وأما الواصلة فهي التي تصل الشعر والمستوصلة هي تطلب ذلك ليفعل لها, والنامصة هي التي تنتف شعر الحاجبين والمتنمصة هي التي تطلب ذلك ليفعل لها, والواشرة هي التي تحدد أسنانها وترقق أطرافها والمستوشرة هي التي تطلب ذلك ليفعل لها.

ولعن النبي أيضاً آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه, ولعن المحلل والمحلل له, ولعن السارق, ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها، وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه, ولعن من غير منار الأرض وهي أعلامها وحدودها, ولعن من لعن والديه, ولعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً يرميه بسهم, ولعن المخنثين من الرجال, والمترجلات من النساء, ولعن من ذبح لغير الله, ولعن من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً, ولعن المصورين, ولعن من عمل عمل قوم لوط,

ولعن من سب أباه وأمه, ولعن من كمه أعمى عن الطريق, أي ضلله - ولعن من وسم دابة في وجهها, ولعن من ضال مسلماً أو مكر به, ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج, ولعن من أفسد امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده, ولعن من أتى امرأة في دبرها, وأخبر أن من باتت مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح, ولعن من انتسب إلى غير أبيه, وأخبر أن من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه, ولعن من سب الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

وقد لعن الله في كتابه من أفسد في الأرض وقطع رحمه، وآذى الله ورسوله, ولعن من كتم ما أنزل الله - سبحانه -من البينات والهدى, ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة, ولعن من جعل سبيل الكافر أهدى من سبيل المسلم, ولعن الراشي والمرتشي والرائش، وهو الواسطة في الرشوة..., ولعن على أشياء أخرى غير هذه, فلو لم يكن في فعل ذلك إلا رضاء فاعله بأن يكون ممن يلعنه الله ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعو إلى تركه.

المعصية سبب نسيان الله لعبده:-

مما هو معلوم يقيناً أن الله سبحانه لا تعتريه الغفلة وهو سبحانه منزه عن الخطأ والنسيان, فكيف ينسى سبحانه من أحاط بكل شيء علماً وهو القائل سبحانه على لسان موسى عليه السلام " في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى" ولكن المعصية المتراكمة, والذنوب المتعاقبة وإغلاق القلب عن التوبة, والاستغراق في الغفلة ونسيانه جلال الله وجنابه, والوقوف بين يديه وإهمال حسابه وعقابه

يستدعي كل ذلك نسيان الله لعبده وتركه، وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة قال الله تعالى": يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" [سورة الحشر : 18 - 19]

فأمر بتقواه, ونهى عن أن يتشبه عباده المؤمنون بمن نسيه بترك تقواه، وأخبر أنه عاقب من ترك التقوى بأن أنساه نفسه، أي أنساه مصالحها، وما ينجيها من عذابه، وما يوجب له الحياة الأبدية، وكمال لذتها وسرورها ونعيمها، فأنساه الله ذلك كله جزاء بما نسيه من عظمته وخوفه، والقيام بأمره.

فترى العاصي مهملاً لمصالح نفسه مضيعا لها، قد أغفل الله قلبه عن ذكره، واتبع هواه وكان أمره فرطاً، قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته، وقد فرَّط في سعادته الأبدية واستبدل بها أدنى ما يكون من لذة، إنما هي سحابة صيف وخيال طيف:

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وأعظم عقوبات المعاصي والإغراق فيها نسيان العبد لنفسه، وإهماله لها، وإضاعته حظها ونصيبها من الله، وبيعه ذلك بالغبن والهوان وأبخس الثمن، فيبيع من لا غنى له عنه، ولا عوض له منه، واستبدل به من عنه كل الغنى أو منه كل العوض :

من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعت من عوض

فالله سبحانه وتعالى يعوض عن كل شيء ما سواه ولا يعوض منه شيء، ويغني عن كل شيء ولا يغني عنه شيء، ويمنع من كل شيء ولا يمنع منه شيء، ويجير من كل شيء ولا يجير منه شيء، كيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شأنه طرفة عين؟ وكيف ينسى ذكره ويضيع أمره حتى ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها أعظم الظلم؟ فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه، وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه.

المعصية تخرج صاحبها من دائرة المحسنين:-

ومن عقوبات المعصية والذنوب أنها تخرج صاحبها من دائرة الإحسان وتمنعه من ثواب المحسنين، فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي، فإن من عبد الله كأنه يراه لم يكن كذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعاصي، فضلا عن مواقعتها، فإذا خرج من دائرة الإحسان فاته صحبة رفقته الخاصة، وعيشهم الهنيء، ونعيمهم التام، فإن أراد الله به خيراً أقره في دائرة عموم المؤمنين، فإن عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الإيمان – وقت ارتكابه لها- حرم فضل الإحسان, وصحبة أهله, وكرامة فضله, وعظم منزلته, وهذه المعاصي التي تخرجه من دائرة الإيمان وقت ارتكابه لها ما بينه النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق

وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع إليه الناس أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن" فإياكم إياكم أيها المؤمنون, والتوبة معروضة عليكم بعد, والله تواب رحيم.

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً:-

ومن عقوبات الذنوب والمعاصي أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً معلولاً, فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وأدواؤها، ولا دواء إلا تركها, وقد أجمع السائرون إلى الله على أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها، ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها، فهواها مرضها، وشفاؤها مخالفته، فإن استحكم المرض قتل أو كاد, وكما أن من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، كذلك يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم أهلها نعيم ألبته، بل التفاوت الذي بين النعيمين، كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة، وهذا أمر لا يصدق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا, ولا تحسب أن قوله تعالى :

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [سورة الانفطار : 13 - 14]

مقصوراً على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك - أعني دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار - فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله, وانقطاعه عن الله, بكل واد منه شعبة, وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب, فكل من أحب شيئاً غير الله عذب به ثلاث مرات في هذه الدار, فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل، فإذا حصل عذب به حال حصوله من سلبه وفواته، والتنغيص والتنكيد عليه وأنواع المعارضات، فإذا سلبه اشتد عذابه عليه، فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار.

وعذاب البرزخ أشد:-

وأما في البرزخ: فعذاب يقارنه ألم الفراق الذي لا يرجى عوده, وألم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده، وألم الحجاب عن الله، وألم الحسرة التي تقطع الأكباد، فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم مثل ما تعمل الهوام والديدان في أبدانهم، بل عملها في النفوس دائم مستمر، حتى يردها الله إلى أجسادها، فحينئذٍ ينتقل العذاب إلى نوع هو أدهى وأمر.

قارن ذلك مع النعم:-

فأين هذا من نعيم من يرقص قلبه طرباً وفرحاً وأنساً بربه واشتياقاً إليه وارتياحاً بحبه وطمأنينة بذكره؟ حتى يقول بعضهم في حال نزعه: واطرباه, ويقول الآخر: إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب, ويقول آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا وما ذاقوا لذيذ العيش فيها، وما ذاقوا أطيب ما فيها, ويقول الآخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف, ويقول الآخر: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل الجنة الآخرة.

العقد بين يديك:-

فيا من باع حظه الغالي بأبخس الثمن، وغبن كل الغبن في هذا العقد وهو يرى أنه قد غبن، إذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فاسأل المقومين، فيا عجباً من بضاعة معك الله مشتريها, وثمنها جنة المأوى، والسفير الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وقد بعتها بيع الهوان:

إذا كان هذا فعل عبد بنفسه فمن ذا له من بعد ذلك يكرم ؟

قال سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) [سورة الحج : 18]

المعصية تدسي النفس والطاعة تعليها:-

ومن عقوبات المعصية والذنوب أنها تصغر النفس وتقمعها، وتدسيها وتحقرها، حتى تصير أصغر من كل شيء وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها، قال

تعـــــالى: " قَـــدْ أَفْلَـــحَ مَـــنْ زَكَّاهَـــا (9) وَقَـــدْ خَـــابَ مَـــنْ دَسَّـــاهَا " [سورة الشمس : 9 - 10]
والمعنى قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها، وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله.

وأصل التدسية: الإخفاء ومنه قوله تعالى : " أم يدسه في التراب " [سورة النحل : 59] .

فالعاصي يدس نفسه في المعصية، ويخفي مكانها، ويتوارى عن الخلق من سوء ما يأتي به، قد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله ، وانقمع عند الخلق ، فالطاعة والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها، حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه وأعلاه ، ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره لله، يعنى أنها ذليلة بين يديه, تعظم ربها وتحقر نفسها, وبهذا الذل حصل لها العز والشرف والنمو، فما صغر رتب النفس مثل معصية الله، وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله سبحانه.

بالمعصية لا جاه ولا كرامة:-

قد يشعر كثير من العصاة والعتاة – في غَمرةالغفلة, والاستدراج الذي اشرنا إليه سابقاً _ أنه عظيم كريم فتأخذه العزة بالإثم, ويرى بعين الغُرور ما يزينه له شيطانه الغرور, ويظن ظن السوء فيزعم أنها له فى الدارين, الدنيا والآخرة كما قال الله على لسان أحدهم : (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا) (الكهف: 36) وما علم صاحبنا أن من عقوبات المعاصي سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزله عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط سقوط الذليلين, فأسقطه الله من قلوب عباده، وإذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك ، فعاش بينهم أسوأ عيش خامل الذكر، ساقط القدر، زري الحال، لا حرمة له, فلا فرح ولا سرور، فإن خمول الذكر وسقوط القدر والجاه معه كل غم وهم وحزن، ولا سرور معه ولا فرح، وأين هذا الألم من لذة المعصية لولا سكر الشهوة ؟

الطاعة ترفع ذكر صاحبها عند العالمين:-

ومن أعظم نعم الله على العبد أن يرفع له بين العالمين ذكره، ويعلي قدره، ولهذا خص أنبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم، كما قال تعالى: "واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَارْ" [سورة ص 45 - 46] أي خصصناهم بخصيصة, وهو الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار، وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال: " واجعل لي لسان صدق في الآخرين" [سورة الشعراء : 84], وقال سبحانه وتعالى عنه وعن نبيه: "وَوَهبنْا لهُم منْ رحمَتِنَا وَجَعَلْنَا لهُم لِسَانَ صِدْقٍ عليا" [سورة مريم : 50], فأتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم، وكل من خالفهم فإنه من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم.

ومن نتائج المعاصي إنها تسلب أسماء الشرف بأسماء الذم والصغار:-

للمؤمن المطيع أسماء جميلة طيبة وصفات جميلة طيبة يتصف بها لطاعته لربه, وإيمانه بنعيمه وجنته, وخوفه من عذابه وغضبه, فالمعصية تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والتقي, والمطيع والمنيب والولي، والورع والمصلح والعابد والخائف, والأواب والطيب والمرضي... وغيرها.

وتكسوه اسم الفاجر والعاصي, والمخالف والمسيء, والمفسد, والخبيث والمسخوط، والزاني والسارق, والقاتل, والكاذب, والخائن, واللوطي, والغادر, وقاطع الرحم... وأمثالها.

فهذه أسماء الفسوق "بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان" [سورة الحجرات : 11] التي توجب غضب الديان، ودخول النيران، وعيش الخزي والهوان.

وأما أسماء الخير والشرف فتلك أسماء توجب رضى الرحمن، ودخول الجنان، وتوجب شرف المسمى بها على سائر أنواع الإنسان، فلو لم يكن في ثواب الطاعة إلا الفوز بتلك الأسماء وموجباتها لكان العقل آمراً بها، ولكن لا مانع لما أعطى الله، ولا

معطي لما منع، ولا مقرب لما باعد، ولا مبعد لمن قرب، "ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء" [سورة الحج : 18] .

ومن عقوباتها انحدار صاحبها إلى من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين :-

وعطفاً على ما سبق, واستكمالاً لآثارها ونتائجها وأضرارها, ولأنها تنزع من صاحبها صفات العزة والشرف, وتصفه بوصفة الذم والصغار فإنها بذلك تجعله من السفلة بعد أن كان مهيئاً لأن يكون من العلية، فإن الله خلق خلقه قسمين: علية وسفلة، وجعل عليين مستقر العلية، وأسفل سافلين مستقر السفلة، وجعل أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة، وأهل معصيته الأسفلين في الدنيا والآخرة، كما جعل أهل طاعته أكرم خلقه عليه، وأهل معصيته أهون خلقه عليه، وجعل العزة لهؤلاء، والذلة والصغار لهؤلاء، كما في مسند أحمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "جعلت الذلة والصغار على من خالف أمري, فكلما عمل العبد معصية نزل إلى أسفل درجة، ولا يزال في نزول حتى يكون من الأسفلين، وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة، ولا يزال في ارتفاع حتى يكون من الأعلين, وقد يجتمع للعبد في أيام حياته الصعود من جهة، وأيهما كان أغلب عليه كان من أهله، فليس من صعد مائة درجة ونزل درجة واحدة، كمن كان بالعكس.

الحذر من النزول الخطير:-

ولكن يعرض ههنا للنفوس غلط عظيم، وهو أن العبد قد ينزل نزولاً بعيداً أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأبعد ما بين السماء والأرض، ولا يفي صعوده ألف درجة بهذا النزول الواحد، كما في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " إن العبد ليتكلم بالكلمة الواحدة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب".

فأي صعود يوازن هذه النزلة, والنزول أمر لازم للإنسان، ولكن من الناس من يكون نزوله إلى غفلة، فهذا متى استيقظ من غفلته عاد إلى درجته، أو إلى أرفع منها بحسب يقظته, ومنهم من يكون نزوله إلى مباح لا ينوي به الاستعانة على الطاعة، فهذا إذا رجع إلى الطاعة فقد يعود إلى درجته وقد لا يصل إليها، وقد يرتفع عنها، فإنه قد

يعود أعلى همة مما كان، وقد يكون أضعف همة، وقد تعود همته كما كانت, ومنهم من يكون نزوله إلى معصية، إما صغيرة أو كبيرة فهذا يحتاج في عوده إلى درجته إلى توبة نصوح، وإنابة صادقة.

الارتفاع بعد النزول : -

اختلف الناس فيمن نزل إلى معصية صغيرة أو كبيرة هل يعود إلى درجته التي كان فيها بعد التوبة من المعصية بناءً على أن التوبة تمحو أثر الذنب وتجعل وجوده كعدمه, فكأنه لم يكن أو لا يعود بناءً على أن تأثير التوبة إنما يكون في إسقاط العقوبة، وأما الدرجة التي فاتته فإنه لا يصل إليها.

قالوا وتقرير ذلك أنه كان مستعداً باشتغاله بالطاعة في الزمن الذي عصى فيه لصعود آخر, وارتفاعه بحمله أعماله السابقة بمنزلة كسب الرجل كل يوم بجملة ماله الذي يملكه، وكلما تضاعف الربح فقد راح عليه في زمن المعصية ارتفاع وربح تحمله أعماله، فإذا استأنف العمل استأنف صعوداً من نزول، وكان قبل ذلك صاعداً من أسفل إلى أعلى وبينهما بون عظيم, قالوا: ومثل ذلك مثل رجلين يرتقيان في سلمين لا نهاية لهما، وهما سواء، فنزل أحدهما إلى أسفل، ولو درجة واحدة، ثم استأنف الصعود، فإن الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد.

التوبة تحدد العودة:-

ولنا في معرض البيان هل يعود من عصى وتاب إلى درجته السابقة قبل المعصية, وهنا جاء حكم شيخ الإسلام ابن تيمية - رضي الله عنه- حيث قال: التحقيق: أن من التائبين من يعود إلى أرفع من درجته، ومنهم من يعود إلى مثل درجته، ومنهم من لا يصل إلى درجته, ومنهم من يعود إلى درجته, يقول ابن القيم: وهذا بحسب قدر التوبة وكمالها، وما أحدثته المعصية للعبد من الذل والخضوع والإنابة، والحذر والخوف من الله، والبكاء من خشية الله، وقد تقوى على تحصيل كل هذه الأمور، حتى يعود التائب إلى أرفع من درجته، ويصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة، فإنها نفت عنه العجب، وخلصته من ثقته بنفسه وإذلاله بأعماله، ووضعت خد ضراعته وذله وانكساره على عتبة باب سيده ومولاه،

وعرفته قدره وأشهدته فقره وضرورته إلى حفظ سيده مولاه له، وإلى عفوه عنه ومغفرته له، وأخرجت من قلبه صولة الطاعة، وكسرت أنفه من أن يشمخ بها أو يتكبر بها، أو يرى نفسه بها خيراً من غيره، وأوقفته بين يدي ربه موقف الخاطئين المذنبين، ناكس الرأس بين يدي ربه، مستحيياً خائفاً منه وجلاً، محتقراً لطاعته, مستعظماً لمعصيته، عرف نفسه بالنقص والذم, وعرف ربه بالتفرد بالكمال والحمد والوفاء, فأي نعمة وصلت من الله إليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه دونها ولم ير نفسه أهلاً لها، وأي نقمة أو بلية وصلت إليه رأى نفسه أهلاً لما هو أكبر منها، ورأى مولاه قد أحسن إليه إذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره ولا أدنى جزء منه, فإن ما يستحقه من العقوبة لا تحمله الجبال الراسيات، فضلا عن هذا العبد الضعيف العاجز.

الذنب وإن صغر قبيح:-

واستناداً إلى كل ما سبق وغيره كثير, فإن الثابت يقيناً أن الذنب وإن صغر عظيم، وإن مقابلة العظيم به, العظيم الذي لا شيء أعظم منه، الكبير الذي لا شيء أكبر منه، الجليل الذي لا أجل منه ولا أجمل، المنعم بجميع أصناف النعم دقيقها وجليلها, بعد من أفظع الأمور وأفظعها وأشنعها، فإن مقابلة العظماء والأجلاء وسادات الناس بمثل ذلك – يعني العمل القبيح- يستقبحه كل أحد مؤمن وكافر وأرذل الناس وأسقطهم مروءة من قابلهم بالرذائل، فكيف بعظيم السماوات والأرض؟ وملك السماوات والأرض؟ وإله أهل السماوات والأرض؟ ولولا أن رحمته سبقت غضبه، ومغفرته سبقت عقوبته، لتزلزلت الأرض بمن قابله بما لا يليق مقابلته به، ولولا حلمه ومغفرته لزلزلت السماوات والأرض من معاصي العباد...

والمقصود أن العبد قد يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبل الخطيئة وأرفع درجة, وقد تضعف الخطيئة همته, وتوهن عزمه، وتمرض قلبه، فلا تقوى التوبة على إعادته إلى الصحة الأولى، فلا يعود إلى درجته، وقد يزول المرض بحيث يعود إلى مثل عمله، فيعود إلى درجته.

هذا كله إذا كان نزوله إلى المعصية، فأما إن كان نزوله إلى أمر يقدح في أصل إيمانه مثل الشكوك والريب والنفاق، فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود إلا بتجديد إسلامه من أساسه.

العاصي لا يأمن على نفسه من نفسه:-

ومن عقوباتها أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده، وأعلم الناس أعرفهم بذلك على التفصيل، وأقواهم وأكيسهم من قوي على نفسه وإرادته، فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره، وفي ذلك تتفاوت معارف الناس وهممهم ومنازلهم، فأعرفهم من كان عارفاً بأسباب السعادة والشقاوة، وأرشدهم من آثر هذه على هذه، كما أن أسفههم من عكس الأمر, والمعاصي تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه في تحصيل هذا العلم، وإيثار الحظ الأشرف العالي الدائم على الحظ الخسيس الأدنى المنقطع، فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم، وعن الاشتغال بما هو أولى له، وأنفع له في الدارين, فإذا وقع مكروه واحتاج إلى التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه.

القلوب تصدأ بالذنوب:-

وإذا بلغ الحال بالعاصي ان تمكنت منه الذنوب, وخانه قلبه وجوارحه ونفسه عن التوبة فكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصدأ, ولزم قرابه، بحيث لا ينجذب مع صاحبه إذا جذبه، فعرض له عدو يريد قتله، فوضع يده على قائم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه، فدهمه العدو وظفر به, كذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مثخنا بالمرض، فإذا احتاج إلى محاربة العدو لم يُجْدِ معه منه شيئاً.

والعبد إنما يحارب, ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبع للقلب، فإذا لم يكن عند مَلْكها قوة يدفع بها فما الظن بها عند العدم.

النفس تخبث بالشهوات:-

النفس المطمئنة ذاتها تضعف وتخبث بالشهوات، والنفس الأمارة تقوى بها وتتأسد، فكلما قويت هذه ضعفت تلك، فيبقى الحكم والتصرف للأمارة, وربما ماتت المطمئنة

موتاً لا يرجى معه حياة فهو ميت في الدنيا ميت في البرزخ, وأما حياته في الآخرة يدرك بها الألم فقط...

خيانة الأعضاء لصاحبها:-

والمقصود أن العبد إذا وقع في شدة أو كربة أو بلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو أنفع شيء له، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله والإنابة إليه, والحمية عليه, والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه، ولا يطاوعه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه، فلا ينحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر فيه الذكر ولا ينحبس اللسان والقلب على المذكور، بل إن ذكر أو دعا بقلب غافل لاه ساه.

ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه, وهذا كله أثر الذنوب والمعاصي كمن له جند يدفع عنه الأعداء، فأهمل جنده وضيعهم وأضعفهم، وقطع أقواتهم، ثم أراد منهم عند هجوم العدو عليه أن يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة.

وعند الاحتضار المصيبة أشد!! :-

هذا وثم أمر أخوف ممن سبق ذكره, وأعظم منه وأدهى وأمر, وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك، حتى قيل لبعضهم: قل لا إله إلا الله، فقال : شاه ورخ غلبك, ثم قضى,

وقيل لآخر : قل لا إله إلا الله ، فقال:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

أي يتمنى أن تقع امرأة في يده لأن هذا ما كان قلبه معلقاً به دائماً, فلم يطاوعه لسانه بذكر الله, ولم يخشع قلبه لذكر الله تعالى, فمات وهو على حاله.

وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله ، فجعل يهذي بالغناء... ثم قال لمن يدعوه: وما ينفعني ما تقول ولم أدع إلى معصية إلا ركبتها, ثم مات ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك، فقال : كلما أردت أن أقولها لساني يمسك عنها...

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة:-

لم يحسب العاصي حساباً لهذه اللحظة الحاسمة تلك هي لحظة لقاء الله التي تحدد مصيره, هذه هي الخاتمة التي لا بد أن يحسب لها العبد ألف حساب, وكم شاهد الناس عبراً كثيرة من أمثلة من خانه لسانه عند الخاتمة لأنه لم يحسب لها حساباً ولم يحضر لها جواباً, فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريده منه من المعاصي, وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى, وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه, واشتغال قلبه بما هو فيه من ألم النزع, وقد جمع الشيطان له كل قوته وهمته، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه غرضه، وذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة فمن ترى يسلم على ذلك؟ فهناك

" يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ " [سورة إبراهيم : 27] .

فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطا؟

فبعيد عن النجاة في هذه اللحظات الحاسمة من كان قلبه بعيداً عن الله تعالى، غافلاً عنه متعبداً لهواه, مذللاً لشهواته، ولسانه يابساً من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته, مشتغلة بمعصية ربه, بعيد عن هذا أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وأعياهم خوفهم من رب العالمين, فاسهروا ليلهم ضارعين, وأظمأوا نهارهم وجلين من ساعة لقاء رب العالمين.

وأما المسيئون الظالمون فكأنهم أخذوا توقيعاً بالإيمان من الله, فضمنوا الثبات عند السؤال, وأخذوا عهداً أن يفعلوا ما يشاءون والخاتمة محسومة بالنجاة, فلا هذا ولا ذاك, فالله تعالى قال في مثل هؤلاء:

" أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ " [سورة القلم : 39 - 40]

وقد قال الشاعر في هذا المقام ما يعبر ببليغ القول عن حقيقة الأمر:

يا آمنـــاً من قبيـــح الفعل تصـتـنعه	هلا أتــاك توقيع أم أنت تمـتــــلكه
جمعت شيئين أمـــــناً واتــبـاع هوى	هذا وإحداهما في المرء تهلكـــــه
والمحسنون على درب المخـتاوف قد	ساروا وذاك درب لست تسلكــــه
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه	فكيف عند حصاد الناس تدركــــه
هذا وأعجب شـــيء منك زهدك فـــي	دار البقاء بعيش ســـوف تتركــــه
من السفــيه إذا بـــالله أنـــــــت أم	المغبون في البيع غبناً سوف يدركه؟

المعاصي تضرب بصيرة صاحبها:-

تعتبر بصيرة الإنسان كنزاً ثميناً لا يضاهيه كنز مهما كان, ذلك لأنها تحدد له معالم الحياة وأسباب الظفر في الدنيا والآخرة, والمعاصي تضرب في الإنسان هذا الجهاز الهام, فتجعله متخبطاً مضطرباً متردداً أو متهادياً منزلقاً متساقطاً, والناس في ذلك على أقسام أربعة:

القسم الأول: يكمن في أن كمال الإنسان مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثار الحق على الباطل, وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالى في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين، وهما اللذان أثنى الله بهما سبحانه على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام في قوله تعالى:

" وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ " [سورة ص : 45] .

فالأيدي القوة في تنفيذ الحق، والأبصار البصائر في الدين، فوصفهم بكمال إدراك الحق وكمال تنفيذه، فهؤلاء أشرف الأقسام من الخلق وأكرمهم على الله تعالى.

القسم الثاني: عكس هؤلاء من لا بصيرة له في الدين ولا قوة على تنفيذ الحق، وهم أكثر هذا الخلق، وهم الذين رؤيتهم قذى العيون وحمى الأرواح, وسقم القلوب، يضيقون الديار, ويغلون الأسعار، ولا يستفاد من صحبتهم إلا العار والشنار.

القسم الثالث: من له بصيرة في الهدى ومعرفة به، ولكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة إليه، وهذا حال المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله منه.

القسم الرابع: من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة في الدين، لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن, وأولياء الشيطان، بل يحسب كل سوداء تمرة, وكل بيضاء شحمة، يحسب الورم شحماً والدواء النافع سماً.

فلنكن من أهل البصيرة:-

إن هذه الأصناف الأربعة المذكورة والتي بيّنا فيها أهل البصيرة من أهل العمه, وأهل الإنعتاق من أهل الانغلاق, لتؤكد أن الصنف الأول منها هو سيد هذه الأصناف, فليس من هؤلاء من يصلح للإمامة إلا الصنف الأول، قال الله تعالى:

" وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ " [سورة السجدة : 24]

فأخبر سبحانه أنهم بالصبر واليقين بآيات الله نالوا الإمامة في الدين، وهؤلاء هم الذين استثناهم الله سبحانه من جملة الخاسرين، وأقسم بالعصر الذي هو زمن سعي الخاسرين والرابحين, على أن من عداهم - أي من عدا الرابحين المستثمرين لزمن السعي الذين هم فيه عاملون فهو من الخاسرين، قال تعالى:

" وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " [العصر : 1 - 3]

فلم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه، حتى يوصي بعضهم بعضاً ويرشده إليه, ويحثه عليه, فإذا كان من عدا هؤلاء فهو من الخاسرين.

لا زلنا مع المعاصي كيف تُعمي البصيرة:-

لا شك أنه أصبح من المعلوم أن الذنوب والمعاصي تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي، وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه، بل قد تتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه كما ينعكس سيره، ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة إلى سفره إلى مستقر النفوس المبطلة, التي رضيت بالحياة الدنيا واطمأنت بها، وغفلت

عن الله وآياته، وتركت الاستعداد للقائه، ولو لم يكن في عقوبة الذنوب إلا هذه وحدها لكانت فيه داعية إلى تركها والبعد منها.... والله المستعان.

انظروا ماذا تفعل الطاعة بالبصيرة:-

كما أن المعصية تضعف البصيرة أو تضربها وتقتلها, وتميت قلب صاحبها, وتعمي بصره, فإن الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله، وتقويه, حتى يصير كالمرآة المجلوة في جلائها وصفائها فيتلألأ نوراً، فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نوره ما يصيب مسترق السمع من الشهب الثواقب، فالشيطان يَفْرق من هذا القلب أشد من فرق الذئب من الأسد، وإذا علمنا أن الفرق هنا الخوف والفرار علمنا كم أن صاحب الطاعة والبصيرة النيرة عدو للشيطان فيقهره ويصرعه, فيجتمع على هذا الشيطان إخوانه الشياطين فيقولون: ما شأنه أصابه إنسي وبه نظرة من الإنس, يعنى المطيع المخلص:

فيا نظرة من قلب حر منور يكاد لها الشيطان بالنور يحرق

أفيستوي هذا القلب المنير المشرق, الذي جعل الله لصاحبه نوراً يمشي به في الناس, يقهر الشيطان ويرغم أنفه ويخزيه بطاعته لباريه, أيستوي هذا القلب وقلب مظلمة أرجاؤه، مختلفة أهواؤه، قد اتخذه الشيطان وطنه وأعده مسكنه، إذا تَصَبَّح الشيطان بطلعته حياه وقال: فديت من قرين لا يفلح في دنياه ولا في أخراه؟

الحذر الحذر من أن يكون الشيطان قريناً:-

قال الله تعالى: "**ومن** وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ " [سورة الزخرف : 36 - 39]

أخبر الله سبحانه في هذه الآيات الكريمات أن من عشي عن ذكره، وهو كتابه الذي أنزل على رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبارك فيه, فأعرض عنه، وعمي عنه، وعشت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض له الله شيطاناً عقوبة له

بسبب إعراضه عن كتابه، فهو قرينه الذي لا يفارقه, لا في الإقامة ولا في المسير، وهو مولاه وعشيرته الذي هو بئس المولى وبئس العشير, ولسان حال الشيطان يقول له:

قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها فأنت قرين لي بكل مكـــان

فإن كنت فـــي دار الشقاء فإننـــي وأنت جميعاً في شقاً وهوان

الشيطان قرين لا ينفع ولا يشفع:-

لقد أخبر الله سبحانه أن الشيطان يصد قرينه ووليه عن سبيله الموصل إليه وإلى جنته، ويحسب هذا الضال المصدود أنه على طريق هدى، حتى إذا جاء القرينان يوم القيامة يقول أحدهما للآخر: " يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين" كنت لي في الدنيا، أضللتني عن الهدى إذ جاءني، وصددتني عن الحق وأغويتني, حتى هلكت، وبئس القرين أنت لي اليوم.

ولما كان المصاب إذا شاركه غيره في مصيبة حصل له بالتأسي نوع تخفيف وتسلية، أخبر الله سبحانه أنه غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب، وأن القرين لا يجد راحة ولا أدنى فرحة في عذاب قرينه معه، حيث منع الله سبحانه هذا القدر من الراحة على أهل النار فقال سبحانه :" ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون", بل إن التلاوم وإلقاء الأسباب لهذا العذاب كل على الآخر هو سمة أهل النار والعياذ بالله, بل إن هذا القرين - الذي هو الشيطان الرجيم, ليتخلى عن قرينه ويلقى باللائمة عليه, قال تعالى:

" وقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " هذه حقاً هي النهاية!!!.

المعاصي والذنوب سلاح لعدوك فتنبه:-

إن الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العبد أعداءه, ويعينهم بها على نفسه، فيقاتلونه بسلاحه، والجاهل يكون معهم على نفسه وهذا غاية الجهل والسفه, قال الشاعر:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومن العجائب أن العبد يسعى بنفسه في هوان نفسه وهو يزعم أنه لها مكرم, ويجتهد في حرمانها أعلى حظوظها وشرفها وهو يزعم أنه يسعى في حظها، ويبذل جهده في تحقيرها وتصغيرها وتدنيسها، وهو يزعم أنه يسعى في صلاحها ويعليها ويرفعها ويكبرها.

وفي هذا السياق كان بعض السلف يقول في خطبته: ألا رب مهين لنفسه وهو يزعم أنه لها مكرم ومذل لنفسه وهو يزعم أنه لها معز، ومصغر لنفسه وهو يزعم أنه لها مكبر، ومضيع لنفسه وهو يزعم أنه مراع لحفظها، وكفى بالمرء جهلاً أن يكون مع عدوه على نفسه، يبلغ منها بفعله ما لا يبلغه منها عدوه، والله المستعان.

المعاصي تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته:-

إن الذنوب والمعاصي تستجلب أسباب الهلاك لصاحبها في دنياه وآخرته، ذلك لأنها أمراض القلوب، متى استحكمت قتلت ولابد، وكما أن الجسم لا يكون صحيحاً إلا بغذاء يحفظ قوته، واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الردية التي متى غلبت عليه أفسدته جميعه، وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره، فكذلك القلب لا تتم حياته إلا بغذاء من الإيمان والأعمال الصالحة تحفظ قوته، واستفراغ بالتوبة النصوح يستفرغ بها المواد الفاسدة والأخلاط الردية منه، وحمية توجب له حفظ صحته واجتناب ما يضادها، وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة, والتقوى: اسم يتناول هذه الأمور الثلاثة، فما فات منها فات من التقوى بقدره.

وإذا تبين هذا فإن الذنوب مضادة لهذه الأمور الثلاثة، فإنها تستجلب المواد المؤذية, وتستوجب التخليط المضاد للجميع، وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح, فانظر إلى جسم عليل قد تراكمت عليه الأخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها، ولا يحتمي

لها كيف تكون صحته وبقاؤه، ولقد أحسن القائل, حيث قال:

جسمك بالحمية أحصنته مخـــافة من ألـــم طـــاري

وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي خشية الباري

فمن حفظ القوة بامتثال الأوامر، واستعمل الحمية باجتناب النواهي، واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح، لم يدع للخير مطلباً ولا للشر مهرباً، والله المستعان.

وللمعاصي عقوبات شرعية :-

والعاصي إن لم تردعه هذه العقوبات المذكورة كلها, والتي منها ما يصيب القلب بالوحشة والعمه, والعمى, وإنها تسبب له الاستخفاف لنفسه ونسيان العبد لربه ولنفسه وإهمال الرب له ونسيانه إياه.. وغير ذلك الكثير مما ذكرناه, فليتذكر العبد أن للمعاصي عقوبات شرعية, وهى العقوبات التي شرعها الله ورسوله على الجرائم والتي منها قطع يد السارق في ثلاثة دراهم، وقطع اليد والرجل على قطع الطريق على معصوم المال والنفس، وشق الجلد بالسوط على كلمة قذف بها محصناً أو قطرة خمر يدخلها جوفه، وقتل بالحجارة أشنع قتلة في إيلاج الحشفة في فرج حرام، أو الجلد مائة إن لم يكن محصناً بالزواج مع النفي سنة إلى بلد الغربة عن وطنه, وفرق بين رأس العبد وبدنه إذا وقع على ذات محرمة, أو ترك الصلاة المفروضة، أو ارتد عن الإسلام إلى الكفر, وكذلك القتل لمن وطأ ذكراً مثله وقتل المفعول به، وكذلك قتل من أتى بهيمة وقتل البهيمة معه، وعزم على الحريق بيوت المتخلفين عن صلاة الجماعة في المساجد... وغير ذلك من العقوبات التعزيرية التي عوقبت بها العصاة بتقدير من أولي الأمر.

فإذا كانت المعاصي لها هذا القدر من العقوبات التي تمثل وصمة في جبين صاحبها بين أهله ومحبيه, بل إن بعضها سيبقى ما تبقى صاحبها حياً, وإن بعضها سيفقده حياته أصلاً, وبعضها ما لا يؤدى إلا بحضور الجمع الذي يشهدها ليتحقق بها الردع لغيره من خلاله هو, ألا يكفي ذلك أن يكون دافعاً له أن يتجنبها وأن يعرف نفسه الأمارة بالسوء إلى تقوى من الله تعالى ورضوان, وأن ينشغل عنها بطاعة الرحمن؟ ولكن غضب الرب أشد وسخطه أعظم.

أضر الذنوب أضرار القلوب:-

وبالجملة فإن أشد الأضرار التي تسببها الذنوب والمعاصي أنها تضرب القلوب فتفتك بها فتكاً شديداً, وما العبد بغير قلب سليم معافى إلا أن يكون منسلخاً عن إنسانيته فيهوي إلى درجة البهيمة البكماء, والعياذ بالله.

وإليك أخي المسلم بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه وتعالى على الذنوب وجوز وصولها إليك ليكون ذلك داعياً للنفس أن تهجرها إضافة إلى ما ذكرناه, ومنها ما جاء ذكره ولكن تذكره على سبيل التذكير والاهتمام مع الإجمال..

فمنها الختم على القلوب والأسماع, والغشاوة على الأبصار, والإقفال على القلوب, وجعل الأكنة عليها والران, والطبع عليها, وتقليب الأفئدة والأبصار، والحيلولة بين المرء وقلبه، وإغفال القلب عن ذكر الله، وإنساء العبد نفسه، وترك إرادة الله لتطهير القلب، وجعل الصدر ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، وصرف القلوب عن الحق، وزيادتها مرضاً على مرضها، وإركاسها وإنكاسها, بحيث تبقى منكوسة، روى الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أنه قال: القلوب أربعة: فقلب أجرد فيه سراج يزهر, وهو قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس, فذلك قلب المنافق، وقلب تمده مادتان: مادة إيمان, ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما.

ومنها صم القلوب وخسفها:-

ولا زلنا مع العقوبات التى ذكرها ربنا سبحانه على المعاصي والتي تمس القلوب التي هي حياة الإنسان وأداة الوعي والإدراك, حيث ذكر من هذه العقوبات أنه يجعل القلب أصم لا يسمع الحق، أبكم لا ينطق به، أعمى لا يراه، فتصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره كالنسبة بين أذن الأصم والأصوات، وعين الأعمى والألوان, ولسان الأخرس والكلام، وبهذا يعلم أن الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح بالعرض والتبعية, قال تعالى:

" فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "
[سورة الحج : 46] .

وأما الخسف فهو خسف بالقلب بسبب الذنوب كما يخسف بالمكان وما فيه، فيخسف به إلى أسفل سافلين وصاحبه لا يشعر، وعلامة الخسف به أنه لا يزال جوالاً حول السفليات والقاذورات والرذائل، كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالاً حول البر والخير ومعالي الأمور, من الأعمال والأقوال والأخلاق, قال بعض السلف: " إن هذه القلوب جوالة ، فمنها ما يجول حول العرش ، ومنها ما يجول حول الحش" .

ومن مصائبها مسخ القلوب:_

ومسخ القلب بسبب المعاصي أن القلب يمسخ كما تمسخ الصورة، ويصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه وأعماله وطبيعته، فمن القلوب ما يمسخ على خنزير لشدة شبه صاحبه به، ومنها ما يمسخ على قلب كلب أو حمار أو حية أو عقرب أوغير ذلك ، وهذا تأويل سفيان بن عيينة في قوله تعالى:

" وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ "

[سورة الأنعام : 38] , قال: منهم من يكون على أخلاق السباع العادية، ومنهم من يكون على أخلاق الكلاب وأخلاق الخنازير وأخلاق الحمير، ومنهم من يكون بليداً كالحمار، ومنهم من يؤثر نفسه كالديك، ومنهم من يكون حقوداً كالجمل, ومنهم أشباه الثعالب تروغ كروغانها... وقد شبه الله تعالى أهل الجهل والمعاصي والغي بالحمر تارة ، وبالكلب تارة، وبالأنعام تارة، وتقوى هذه المشابهة باطناً حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهورا خفياً، يراه المتفرسون والخبراء، وتظهر في الأعمال ظهوراً يراه كل أحد، ولا يزال يقوى حتى تعلو الصورة فتنقلب له الصورة بإذن الله وهو المسخ التام ، فيقلب الله الصورة الظاهرة على صورة ذلك الحيوان كما فعل باليهود وأشباههم حيث مسخهم إلى قردة وخنازير..

ومنها نكس القلوب وحجبها عن ربها:-

ومنها نكس القلب حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، ويفسد ويرى أنه يصلح، ويصد عن سبيل الله وهو يرى أنه يدعو إليها ،

ويشتري الضلالة بالهدى ، وهو يرى أنه على الهدى ، ويتبع هواه وهو يزعم أنه مطيع لمولاه, وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلوب.

ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا، والحجاب الأكبر يوم القيامة، كما قال تعالى:

" كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ " [سورة المطففين : 14 - 15] ,

فمنعتهم الذنوب أن يقطعوا هذه المسافة بينهم وبين قلوبهم، فيصلوا إليها فيروا ما يصلحها ويزكيها، وما يفسدها ويشقيها، وأن يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم، فتصل القلوب إليه فتفوز بقربه وكرامته، وتقر به عيناً وتطيب به نفساً، بل كانت الذنوب حجاباً بينهم وبين قلوبهم, وبين ربهم وخالقهم.

ومن عواقب الذنوب ضنك العيش وكثرة الكروب:_

ومن عواقب المعاصي والذنوب المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ والعذاب في الآخرة، قال تعالى:

" وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى " [سورة طه : 124]

وقد فسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، المعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأنواع وأصناف النعيم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب.. فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده، ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو الحق وكل معبود سواه باطل..

احرص أخي على الحياة الطيبة:-

إذا كانت المعصية تودي بصاحبها في الضنك والمشقة والعنت, وإذا كانت الوحشة في القلب والانتكاس والخسف بسببها, فالله سبحانه جعل الحياة الطيبة الهانئة المطمئنة بالطاعة والعمل الصالح المبني على الإيمان بالله والتقرب إلى جلاله وجنابه سبحانه كما قال تعالى:

" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " [سورة النحل : 97]

فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين وهم أحياء في الدارين, ونظير ذلك قوله تعالى:

" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ " [سورة النحل : 30], ونظيره قوله سبحانه: " وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ " [سورة هود : 3]

ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين، فإن طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمأنينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته من ترك الشهوات المحرمة، والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن إليه.

إن الأبرار لفي نعيم في الدنيا والآخرة:-

واستشعاراً لحقيقة نعيم الطاعة بما يقع في القلب من نعم كثيرة لا تدانيها نعمة البدن بشيء نجد بعض من عبروا عن هذا الشعور من أهل البر والخير يقول: لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف, وقال آخر: إنه يمر بالقلب أوقات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب, وقال آخر: إن في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم -: " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر "

ولا تظن أخي رعاك الله أن قوله: " إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ " [سورة الانفطار : 13 - 14]

يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، أي الدنيا والبرزخ والآخرة.

ومن أعظم النعيم القلب السليم:-

وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته ؟ وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم ؟ وقد أثنى الله على خليله عليه السلام بسلامة قلبه، فقال :

" وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " [سورة الصافات : 83 - 84]

وقال حاكياً عنه أنه قال: " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " [سورة الشعراء : 88 - 89]

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبر الله، ومن كل شهوة تعارض أمر ربه، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة البرزخ في جنة يوم المعاد.

إن ربي على صراط مستقيم:-

إن ربنا سبحانه على صراط مستقيم قضاؤه وقدره, أمره ونهيه, فيهدي من يشاء إلى صراط مستقيم بفضله ورحمته, ويجعل الهداية حيث تصلح ويصرف من يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته لعدم صلاحية المحل, وذلك موجب الصراط المستقيم الذي هو عليه فهو سبحانه على صراط مستقيم, ونصب سبحانه لعباده من أمره صراطاً مستقيماً دعاهم جميعاً إليه حجة منه وعدلاً، وهدى من يشاء منهم إلى سلوكه نعمة منه وفضلاً، ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم إلى جنته،

ثم صرف عنه من انصرف عنه في الدنيا، وأقام عليه من قام عليه في الدنيا، وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وبما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نوراً ظاهراً لهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الحشر، وحفظ عليهم نورهم حتى يقطعوا صراطه المستقيم, كما حفظ عليهم إيمانهم حتى يلاقوه سبحانه، وأطفأ نور المنافقين,

وهم أحوج ما يكونون إليه، كما أطفأوا نور آياته في قلوبهم في الدنيا, وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكاً تخطفهم في الدنيا عن الاستقامة عليه، وجعل سيرهم على الصراط على قدر سيرهم وسرعتهم إليه في الدنيا، ونصب للمؤمنين حوضاً يشربون منه بإزاء شربهم من شرعه في الدنيا، وحرم من الشرب منه هناك من حرم نفسه من الشرب من شرعه ودينه ههنا.

انظر إلى الآخرة رأي العين:-

أخي المؤمن الكريم _حفظك الله من كل سوء وهدى قلبك إلى طاعته ومحبته, انظر إلى حقيقة الأمر تجد نفسك ترى الآخرة رأي العين, وتأمل حكمة الله سبحانه في الدارين، تعلم حينئذٍ علماً يقيناً لا شك فيه أن الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وأنموذجها، وأن منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدهما، فمن أعظم عقوبات الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة, والله الحافظ والمستعان.

وللذنوب أضرار ومصائب أخرى:-

إن الله سبحانه عندما فرض علينا الفرائض ونهانا عن الموبقات إنما ذلك لعلمه سبحانه أن هذا كله لنا خير, فإذا التزمنا بأوامره استقامت حياتنا واطمأنت قلوبنا, وانتظمت أحوالنا بنظام رباني عظيم, وإذا تركنا ما نهى عنه صرفنا عن أنفسنا أدران العواقب والأضرار التي تلحق بصاحبها جراء فعلها وإهمال أمر ربنا سبحانه, والله سبحانه هو الخالق وهو أعلم بما يصلح لخلقه وما يفسده, ما ينفعه وما يضره, فأمره حتماً فيه الخير بفعله ونهيه حتماً فيه الخير بتركه قال سبحانه: " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ".

وعلاوة على ما ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله من أضرار وعواقب للذنوب فيما سبق ذكره وحتى تقترب الصورة من تمامها أو تكاد رأيت أنه لا بد من ذكر الأضرار المترتبة على بعض المعاصي مما يضرب البنية الإنسانية الذاتية والبنية الإنسانية الاجتماعية والبنية الإنسانية الاقتصادية وكل ذلك أثبت أن الخالق العالم بما يصلح

لخلقه لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن الشر فوجب الالتزام ووجبت الطاعة, **ومن هذه الأضرار**:-

المعاصي تسبب الأمراض والأوبئة:-

لو تأملنا بمعصية الزنا مثلاً حيث شدد الباري سبحانه في النهي عنها لوجدنا أن ضررها في غاية الخطورة فقد أثبت العلم الحديث أن أخطر الأمراض تنتقل عن طريق الممارسة الجنسية وأن هذه الأمراض تفتك بصحابها فتكاً شديداً, بداية من أمراض الجهاز التناسلي والبولي وأمراض الدم وغيرها, وانتهاءً بما عرف بمرض (نقص المناعة) الإيدز, وهو جهاز يدافع جسم الإنسان عن نفسه من خلال جهاز المناعة الذي أوجده الله سبحانه فيه, فإذا انتقل إليه هذا المرض لا يستطيع الجسم أن يدافع عن نفسه ضد أبسط الأمراض وأخفها فيكون عرضة للهلاك العاجل, وهذا المرض الخطير الذي لم يجدوا له علاجاً حتى الآن لا ينتقل إلا عن طريق الممارسة غير الشرعية, وهي الممارسة التي تخالف ما أمر الله به سبحانه قال تعالى: " ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً " وليس هناك من سوء لسبيل الإنسان أسوأ من هذا السبيل, مقابل لذة عاجلة يقع في مصيبة قاتلة! وزيادة على ذلك فإن انتشار هذه المعصية مع ما يتبعها من وسائل إغراء ومفاسد أخلاقية, فإنها تسبب اختلاط الأنساب, وتفكك الأسر, وانعدام الثقة بين الرجل وزوجه, بحيث لا يعرف الولد من أبوه على وجه الدقة, وهذا من أعظم المفاسد التي لحقت بالمجتمعات التي انتشرت فيها الرذيلة, حيث انعدمت الأسر الشرعية, وانتشر العزوف عن الزواج الشرعي, وتناقص المجتمع بشكل كبير, وأصبح عدد الوفيات أكثر من عدد المواليد, وكثير من المواليد يولدون غير شرعيين, وأخذت الحكومات تشجع الإنجاب ولو بطريق غير شرعي لتحافظ على بقائها, كل ذلك بسبب معصية, صحيح أنها واحدة لكنها كبيرة وآثارها عظيمة, وعواقبها خطيرة, وتبعاتها ومستلزماتها متعددة.

ومن عواقب المعصية كوارث اقتصادية:-

لقد أمر الله سبحانه عباده بإتقان الصنعة وحرم الغش, وأمر بالصدق والأمانة, وحرم الخداع والغدر, وأحل البيع وحرم الربا, فإذا التزم العبد أمر الله أصبح المجتمع قوياً اقتصادياً, يصمد أمام اعتي الهزات الاقتصادية, ويستطيع أن يعالج مشاكله بسهولة ويسر, ولكن إذا خالف أمر الله سبحانه فإنه يصبح مجتمعاً هشاً ضعيفاً متهاوياً, ينهار أمام أدنى الحوادث مهما بلغت قوة اقتصاده, وصلابة بنيانه, وهذا ما وجدناه في المجتمعات الغربية التي بنت اقتصادها على السياسة الغابية الوحشية, حيث يأكل القوي الضعيف ولا يبالي الأغنياء بفقر الفقراء, اقتصاد مبنى على الجشع والهلع, والطمع, وانتفاخ الأرصدة في الحسابات الربوية, وضمور الأمعاء الخاوية, حيث يزداد الغني غنى ويزداد الفقير فقراً, ولعل من أكبر الكبائر التي حرمها الله وحذر منها أشد تحذير وأعلن الحرب على فاعلها هي جريمة الربا التي أصبحت النظام الوحيد المعتمد لدى البنوك التجارية, وبنت عليها الدول الكبيرة اقتصادها, وانتقلت العدوى حتى شملت الدول الصغيرة في العالمين الثاني والثالث, ولم ينتهه العالم كله إلى التحذير الإلهي الشديد الذي يقول فيه ربنا سبحانه: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين, فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله.. " صحيح أن هذه الآية خاطب الله فيها المؤمنين, ذلك لأن الحلال والحرام والتكليفات كلها توجه للمؤمنين ابتداءً وانتهاءً, وأما الكافرون فخطابهم دعوة إلى الإيمان أصلاً, ولكن العاقل ينتفع بما عند غيره من الخير, ويعتبر بما أصاب غيره من الضر, ولا أدل على ذلك من انهيارات بالجملة فيما يسمى بالأزمة العالمية والتي أصابت قلب العالم المتحضر الذي يتباهى على هذا العصر بالاقتصاد المنيع, والمجتمع الحر الرفيع, فأصبح بسبب هذه المعاصي يعيش في ضنك اقتصادي وضيع, حيث تعلن البنوك الضخمة إفلاسها ودول توشك على الانهيار, وتتداعى دول عديدة لإنقاذ أخواتها دون جدوى والحال يتدهور وليس له من منقذ إلا شرع الله ودينه, والعودة إلى الحق الذي جاء به, نسال الله العافية والرحمة.

ومن عواقب المعاصي تدمير البناء الاجتماعي:-

تعتبر الطاعات وفعل ما أمر به الله سبحانه, والالتزام بدينه والابتعاد عما نهى عنه سبحانه تعتبر كل هذه الأمور سياجاً وحصناً منيعاً حامياً للمجتمع من التفكك والانهيار, ولو تأملنا مثلاً ما تفعله بعض المعاصي في بنية المجتمع لوجدنا أنها تفتك به فتكاً شديداً فتضرب بنياناً، وتزلزل أركانه، ومنها مثلاً الكذب، والغيبة والنميمة، وأكل أموال الناس بالباطل, وأكل أموال اليتامى ظلماً, وقطيعة الأرحام, وعقوق الوالدين, والإساءة إلى الجار, والتلصص على الحرمات, والغدر والخيانة والخداع والغش وإفساد ذات البين والنجش والحقد والحسد, والقطيعة والتدابر ... وغير ذلك من المفاسد التي تعتبر بحق ممارسات خطيرة بالمقياس الاجتماعي والتربوي تؤدي إلى نتائج كارثية على المجتمع منها انعدام الثقة, والخصومات الدائمة, والتفكك الأسري, وضعف البناء الاجتماعي من حيث العلاقات الإنسانية الضرورية بين القرابات والجيران, والأنانية وحب الذات ونسيان الآخر, وانتشار الفوضى والمحسوبيات المقيتة مما يجعل المجتمع أسوأ من مجتمعات الأنعام التي أشار إليها القرآن العظيم:" إن هم إلا كالأنعام ...".

ذلك لأن المجتمع الإنساني تميز على غيره بالتعاون والتكافل, وخدمة الآخر ومد يد العون له, واحترام الحقوق الأخرى ... وغير ذلك.

وفي المجتمع الآخر أوضح مثال:-

بهذه القيم والأخلاق تميز المجتمع المسلم عن المجتمع الآخر, فأوجد نموذجاً غاية في الرقي الإنساني والقيمي والأخلاقي الفريد, حيث التعاون والإخلاص, والبر والمحبة, وحسن الجوار والوفاء بالعهود والوعود والمواثيق ولو مع الأعداء, وإتقان الصنعة, والصدق والأمانة مما أعطى البشرية نموذجاً يحتذي في بناء صرح إنساني متين, ولكن وبالمقابل فإن النموذج الآخر في غير الإسلام تجد الموبقات الاجتماعية فتجد مجتمعاً مفككاً ضعيفاً, لا خلق, ولا عرض, ولا علاقات اجتماعية, ولا أسر شرعية ولا علاقات إنسانية, بل إن العلاقة مبنية على المصلحة الشخصية فقط, سقطت منه هيبة الوالدين واحترامهما, ولا رحم ولا صلة لها, فأصبح المجتمع قائماً على قواعد ضعيفة البناء, ركيكة الإنشاء, ضعيفة الأنحاء, ذلك لأنها ابتعدت عن منهج رب

الأرض والسماء سبحانه العالم بخلقه ما ينفعهم وما يضرهم, فهو صاحب الحق في السمع والطاعة وحده لا إله إلا هو ... " ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً"

وفي الختام: فإن هذا غيض من فيض وقليل من كثير من الاضرار التي تترتب على المعاصي والذنوب طرقنا به القلوب الواعية , لتكون بإذن ربها القلوب السليمة الصافية الخالصة من كل شائبة ونفوس مطمئنة لترجع إلى ربها راضية مرضية , وأجساد طاهرة مبرأة من كل سوء , بجوارح نقية وقيم ربانية , وأخلاق نبوية , وماذا يميز الانسان عن غيره من المخلوقات الا ذلك الخلق وتلك الطاعة المبنية على الايمان والعمل الصالح ,قال تعالى:" إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون " أخي المسلم الكريم أوصيك بوصية نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم لتحصل على خير الجزاء "قل آمنت بالله ثم استقم" فإن فعلت فزت في الدنيا بالطمأنينة وراحة البال وفي الآخرة بالجنة والرضوان وهل يريد العبد المؤمن أكثر من هذا؟

ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وتوفنا مع الأبرار, ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين , ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار, اللهم اشرح صدورنا لطاعتك ومُن علينا بمغفرتك وسعنا بعفوك وعاملنا برحمتك وتب علينا بحلمك وتوفنا وانت راض عنا يا كريم , اللهم انزع من قلوبا حب أنفسنا , وازرع فيها حب ما يرضيك , اللهم انزع من قلوبنا الخوف الا منك والرجاء الا إليك والتوكل الا عليك والشكوى الا لك , اللهم طهر قلوبنا وأجسادنا ونفوسنا واجعلها خالصة لطاعتك وعمل ما يرضيك إنك سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين